د. ابراهيم عوض

عشر لآلىء
من جواهر السنة النبوية

تم التصميم والاخراج بمركز الشرق العربى قسم الكمبيوتر * شهار - الشارع العام * تليفون : ٧٤٩٥٤٩٩

د. ابراهيم عوض

عشر لآلىء من جواهر السنة النبوية

تم التصميم والاخراج بمركز الشرق العربى قسم الكمبيوتر * شهار - الشارع العام * تليفون : ٧٤٩٥٤٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا الكتاب يضم عشرة من أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام وشروحها • وهذه الشروح روعى فيها تجلية المسائل اللغوية والادبية والاجتماعية والحضارية الهامة المتعلقة بتلك الاحاديث ، الى جانب الاهتمام في كل فرصة بالمقابلة بين أسلوب الحديث النبوى الشريف وأسلوب القرآن الكريم ، اللذين أرجو أن يكون لى الفضل في فتح باب المقابلة بينهما •

على أن هذه ليست الدراسة الأولى التى أطرق فيها هذا الموضوع ، ولا الشاملة التى تغطى كل جوانبه ، بل هناك دراسة أخرى مستقلة لهذا الغرض أرجو ان ترى نور النشر قريبا بمشيئته تعالى • وهى دراسة كبيرة مفصلة وذات منهج مصمم لذلك الهدف •

والذى خرجت به من هاتين الدراستين التطبيقيتين أن أسلوب القرآن وأسلوب الحديث مختلفان ، وهو مايدل على أن مصدر هذا غير مصدر ذاك ، وأن النبى عليه الصلاة والسلام من ثم لايمكن ، كما يدعى المعاندون ، أن يكون هو مؤلف القرآن •

لقد سبق فى كتابى " مصدر القرآن - دراسة فى الاعجاز النفسى " أن أثبت عن طريق الدراسة النفسية التحليلية لشخصية الرسول عليه صلوات الله وسلامه ولمضمون القرآن الكريم الاهية مصدر القرآن • والآن تقدمت خطوة أخرى ، اذ أثبت ذلك عن طريق التحليل الأسلوبى • وهى أول مرة فيما أعلم يفعل باحث ذلك •

أرجو من الله العلى الكريم أن يتقبل عملى ، الذى أعتقد أننى اتبعت فيه المنهج العلمي بموضوعية وتجرد ، وأن ينفع سبحانه وتعالى به ، وأن يجعله حجرا في الأساس الصلب الذى يقوم عليه الايمان بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام • والله الموفق

الطائف في ١٤١٠/١١/١٥ هـ
٨/ ٦/ ١٩٩٠ م

الحديث الأول

عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال .
" كل مولود يولد على الفطرة . فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء . هل تحسون فيها من جدعاء "
ثم يقول ابوهريرة . واقراوا ان شئتم .
(فطرة الله التى فطر الناس عليها . لاتبديل لخلق الله • ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون) •

" من صحيح البخارى " •

كل مولود يولد على الفطرة

"الفِطْرة " من فَطَر الأمرَ" اذا اخترعه وابتداه وأنشاه • والفاطر هو المبدع • فالفطرة هى الصفة التى يتصف بها كل موجود فى أول زمان خلقته ، أى صفة الانسان الطبيعية • هذا هو أصل معناها • فهل تعنى الفطرة فى الحديث الشريف العقيدة السليمة والدين الكامل والاستقامة الخلقية التامة ؟ فلماذا اذن أرسل الله آدم نبيا وهو أول البشر ؟ ألم يكن يكفى أن يكله ربه سبحانه الى فطرته ، ان كانت الفطرة بهذا المعنى ؟ وكيف انحرف البشر بعد ذلك وهم جميعا مخلوقون على الفطرة ؟ ومن الذى حرفهم ؟ ان كان انسانا فهو أيضا مولود على الفطرة ، وأبوه هو مولود على الفطرة ، وأبو أبيه مولود على الفطرة ••• وهكذا دواليك حتى نعود الى حيث بدأنا ، الى آدم عليه السلام • فما الفطرة اذن ؟•

يبدو لى أن معناها أن الانسان يولد صحيفة بيضاء ، وبالتالى يكون مهيأ لتلقى العقيدةالسليمة اذا عرضت عليه ، وأن فى تركيبه النفسى احساسا بالحاجة الى اله (ولكنها ليست بالوضوح ولا التفصيل اللذين فى الأديان السماوية) ، فاذا ماوجد التوجيه الصحيح فسرعان مايستجيب له بسهولة ، اذ الايمان بالله ووحدانيته وبالمعاد والثواب والعقاب يكون أكثر ملاءمة لصحته النفسية وسلامه الروحى •

وعلى هذا فان تفسير قول النبى عليه الصلاة والسلام للبراء بن عازب بعد أن علمه دعاء النوم : " فانك ان مت مت على الفطرة " بأن المقصود منه هو : " أنك اذا قلت هذا الدعاء ثم مت من ليلتك تموت على الايمان والدين الصحيح " ليس تفسيرا سليما ، اذ يلزم عن هذا أن البراء رضى الله عنه اذا لم يقل هذا الدعاء قبل النوم ثم مات فى تلك الليلة لم يمت على الايمان والدين الحنيف ، أستغفر الله • ومثل البراء فى هذا كل الصحابة الذين لم يسمعوا بهذا الدعاء من النبى عليه السلام ولامن أحد سمعه منه صلى الله عليه وسلم ، ولايمكن أن يعقل هذا ، فالايمان له شروطه ، التى ليس من بينها أن يردد الانسان هذا الدعاء قبل النوم • انما المقصود ، فيما نرجح بناء على تفسيرنا السالف للفطرة ، أن الانسان لو مات فى الليلة التى يكون آخر عمله وكلامه فيها هو ذلك الدعاءالنبوى الكريم مات أبيض الصحيفة ، أى مات وذنوبه قد محيت من صحيفة أعماله ولم يبق فيها الا الحسنات ، فكأنه بالنسبة للذنوب والسيئات قد رجع كيوم ولدته أمه ، أى على الهيئة التى

خلقه الله عليها قبل أن تتدخل البيئة بما فيها البيت والمدرسة والأصدقاء والموجهون وخبرات الحياة وتقلبات حوادث الأيام وتراث الماضى والسفر٠٠٠ ، ومايتركه كل ذلك على شخصية الانسان مما يغيره عن فطرته الأولى وينتقل به من حال الى حال ٠

والانسان لايولد مؤمنا ، كما أنه لايولد كافرا ٠ ذلك أن الايمان باصوله وتفصيلاته ومايقتضيه من سلوك نظيف وخلق كريم ليس غريزة من الغرائز كغريزة الطعام والشراب ، والجنس، وحب المال ٠٠٠ الخ ، والا لوكله ربه عز وجل اليها ، كما وكله فى أمور البحث عن الطعام والشراب وجمع المال الى نفسه، اذ هو ليس محتاجا الى من يعرفه أنه مثلا اذا جاع فينبغى عليه أن يأكل ٠

ليس هذا فقط ، بل ان الايمان أيضا لايورث ٠ ان الانسان يرث عن أبويه أو أجداده لون العينين مثلا وملاسة البشرة أو خشونتها ، وسباطة الشعر أو جعودته ، وطوله أو قصره وغباءه أو ذكاءه ٠٠٠ وهلم جرا ٠ أما الايمان فانه لايرثه ، وانما يأخذه من البيئة ،والدليل على ذلك أننا لو أخذنا منذ الرضاعه طفلا بوذيا أو شيوعيا أو نصرانيا أو وثنيا من وثنيي أدغال أفريقية مثلا ، ونقلناه الى بيت مسلم يلتزم تعاليم دينه لشب هذا الطفل مسلما رغم أن أبويه غير مسلمين ، بخلاف لون عينيه وجلده وشعره مثلا ، فانه يبقى كما هو ٠ والمبشرون الذين يجولون بعض بلاد المسلمين لاصطياد الأطفال وتنصيرهم يلجأون الى هذه الطريقة ، فهم يأخذون الأطفال اليتامى وأبناء الأسر الفقيرة وينقلونهم الى ملاجىء نصرانية ، حيث يعيش الطفل المسلم الأبوين فى جو وبيئة نصرانيين ، وتنقطع صلته بدينه الأصلى شيئا فشيئا ، فاذا كبر يكون قد نسى كل شىء عن ماضيه البعيد ، وفكر وتصرف كما يتصرف الأطفال النصارى الذين ولدوا لآباء نصارى ٠

بل ان كثيرا من الناس ينتقلون بمحض ارادتهم من دين لدين ٠ ويكثر هذا فى بداية الدعوة الى الدين ، ويقل عادة اذا تراخت القرون ٠ ولنأخذ الاسلام مثلا ، الذى لم يكن عليه عندما نزل الوحى على النبى محمد عليه الصلاة والسلام أول مانزل الا شخص واحد هو محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم عرضه على الناس ، وانتهى أمرهم معه الى أن أصبح عدد المستجيبين له يقدر بعشرات الآلاف ، الذين زادوا بعد موته وظلوا يزيدون الى أن أضحوا اليوم مليارا أو أكثر ٠ ومازال كثير من الناس حتى الآن من جنسيات وبيئات وطبقات مختلفة يتركون أديانهم ويدخلون الاسلام ٠ ولو كان الدين وراثيا لما أمكن حدوث شىء من هذا ٠

فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه

ذكر الحديث هنا الأبوين باعتبارهما أحد عوامل البيئة التى تشكل عقيدة الطفل ، والا فقد يولد الطفل يتيم الأبوين ، أو يشب بعيدا عنهما (لأن ظروف العمل تضطرهما للافتراق عنه بصفة دائمة أو شبه دائمة ، أو لأنه تصادف أن الأبوين سجنا بعد ولادته وظلا فى السجن حتى شب وكبر وتكونت عقيدته مثلا) ، بل ان بعض الحالات ينعكس فيها الوضع ، فيحاول الأب هداية ابنه الى طريق الاسلام ، ولكن الابن هو الذى يضل تحت ضغط عوامل أخرى سواء السبيل ، كما فى حالة أبى بكر الصديق وابنه الذى ظل على الشرك لايستجيب لدعوة أبيه اياه الى الاسلام ، الى أن قيض الله أن يشرق النور على قلبه ويدخل الاسلام كما دخله أبوه من قبل ٠

الأبوان اذن أحد عوامل البيئة التى تصوغ دين الطفل وليسا كل العوامل ٠ والرسول عليه الصلاة

والسلام لم يرد الاستقصاء ، وانما أراد ضرب المثل ليبين لنا كيف أن عوامل البيئة هذه متمثلة فى الوالدين تطرأ بعد ولادة الطفل مهيأ لتقبل دعوة الحق فتلوث صفحة نفسه البيضاء وتجرفها بعيدا عن سبيل الايمان الصحيح الذى يناسب البشرية ولاتصيب حظها الكامل من السعادة والسلام الروحى الا من خلاله • وقد اختار الرسول أن يضرب المثل بالابوين لانهما فى العادة أول من يوجه الطفل ، وبخاصة فى المراحل الأولى من عمره ، بل ربما ظلا العامل الوحيد أو شبه الوحيد لفترة غير قصيرة من حياته • كما أن تأثيرهما فى الظروف المعتادة هو أقوى التأثيرات •

على أن الأبوين قد يكونان مسلمين ، ومن ثم فلا مشكلة • والرسول عليه الصلاة والسلام على أية حال لم يقصد استغراق ديانات الأبوين ، وانما ذكر بعضها فقط • وهذا الذى ذكره هو أشهرها ، وبخاصة فى عصره صلى الله عليه وسلم • والدليل على ذلك انه عليه السلام لم يذكر مثلا الصابئة ، ولم يذكر الوثنية العربية ، وهما مذكورتان فى القرآن وبالذات الأخيرة ، التى عانى فى محوها ماعانى حتى كتب الله له ولدينه الظفر عليها تماما • كما أن هناك ألوانا من العقائد والاديان والانظمة الفلسفية المنحرفة لم يذكرها الحديث كالبوذية والكونفوشيوسية والشنتوية (وهذه كانت موجودة منذ قديم الزمان فى بلاد الهند والشرق الاقصى) ، وكالشيوعية والوجودية الآن • وبطبيعة الحال لم يكن ممكنا ذكرهما ، لانهما لم تكونا قد وجدتا بعد •

لم ينص النبى على حالة الأبوين المسلمين اذن لانه لم يشأ أن يستقصى كل الديانات الموجودة ولانه (وهذا هو الاهم) كان يشير الى الديانات المنحرفة التى تفسد فطرة المولود وتجذبه بعيدا عما هيئت نفسه له •

وقد استعمل الحديث للدلالة على تحويل الطفل الى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية الأفعال " يهودانه • ينصرانه • يمجسانه " • وهذه الأفعال قد بنيت على صيغة " فعل " وهى الصيغة الدالة على معنى التحويل والتصيير • وهذا أحد المعانى التى تستخدم له هذه الصيغة • وهناك من بين هذه المعانى معنى يكثر استعمال هذه الصيغة فيه أيضا ، وهو نسبة الشخص الذى يقع عليه الفعل الى دين أو مذهب أو اتجاه أو خلق مشتق من أصل الفعل ، وذلك مثل : " فسقته " ، أى نسبته الى الفسق ، بمعنى أننى قلت عنه انه فاسق • ومثله أيضا : " كفرته " و " هودته " و " نصرته " ، بمعنى حكمت عليه أنه كافر أو يهودى أو نصرانى ، وهكذا ••• الا أن المعنى المراد فى الحديث هو المعنى الأول (معنى التحويل والتصيير) لا المعنى الثانى •

على أن العامل الأول والأساسى فى الانحراف عن الفطرة النقية هو الشيطان ، الذى كما يقول الرسول الكريم ، يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق ، أى أنه يتسلمه منذ اللحظة الأولى لولادته ، وهو ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر• الشيطان هو الذى يوسوس بالشر ويغرى بالانحراف ، لان أول أبوين فى الدنيا ولدا هما أيضا على الفطرة ولم يكن لهما أبوان ولا كانت هناك بيئة تدعوهما الى الانحراف • والقرآن الكريم قد صور وسوسات الشيطان لآدم وزوجته حتى وهما لايزالان فى الجنة ، ولم يكن هناك بطبيعة الحال أحد من البشر غيرهما •

كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء . هل تحسون فيها من جدعاء ؟

عندنا الفعل " نَتَجَ " والفعل " أَنْتَجَ " ، وكلاهما يأتى لازما ، ومتعديا لواحد ، ومتعديا لاثنين

• ويتضح معنى كل فى كل حالة من حالاته الثلاث من الأمثلة التالية :

لازم : نَتَجَ الولدُ : وُضِع - نَتَج الشئُ من الشئ
أَنْتَجت البهيمةُ : حان نتاجها

متعد لمفعول واحد : أَنتجت البهيمةُ ولدا : ولَدته
أَنتج الشيءَ من الشئ : ولّده و أخرجه منه

متعد لمفعولين : نتجها ولدا : ولدها ولدا
انتجها ولدا : ولدها ولدا

وعلى هذا يصح أن نقول : " كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء " أو" كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء" • فأما الأولى فهى بالبناء للفاعل ، والفعل فيها متعد لمفعول واحد • وأما الثانية فالبناء للمفعول والفعل فيها متعد لمفعولين مفعوله الأول هو نائب الفاعل (بعد حذف الفاعل) • وفى هذه الحالة الثانية يمكن أن يكون الفعل هو " ينتج " (مجرد الثلاثى) أو " ينتج " (مزيده) • وقد يكون الفعل المبنى للمجهول متعديا لمفعول واحد • و " البهيمة " نائب فاعل ، و " بهيمة " تمييز • وتكون " البهيمة " و " بهيمة " دالتين على المولود كلتاهما •

هذا من الناحية النظرية • أما والفعل فى النص الذى بين أيدينا مبنى لما لم يسم فاعله فان اعرابه كالآتى : " تنتج" : فعل مضارع مرفوع بالضمة " ، و " البهيمة" : نائب فاعل مرفوع بالضمه ،و " بهيمة " مفعول ثان • أو " البهيمة " : نائب فاعل ، و " بهيمة " : تمييز •

و " البهيمة الجمعاء " هى البهيمة التى لاعيب فيها • أما " الجدعاء " : فهى البهيمة التى جدع أنفها أو أذنها (صفة مشبهة ، مؤنث " أجدع" ، من " جَدِع يَجْدَع " وليست من " جَدَع يجدع " كما توهم البعض، اذ الصفة من الفعل الأخير هى " مجدوع " لا " أجدع " لأنه متعد)•

و" البهيمة " : كل ذات أربع قوائم من دواب البر والماء ، ماعدا السباع • ولم ترد فى القرآن الا مضافة لكلمة " الأنعام " (هكذا :" بهيمة الأنعام") • و " الأنعام " جمع " نعم " ، وهو مايؤكل لحمه ويشرب لبنه • و " أحس الشيء ، وأحس بالشيء " :(متعديا بنفسه وبحرف الجر) : علمه وشعر به • ومثله " حَسَّ الشيء ، وحَسَّ بالشيء " (الثلاثى المجرد ، وان كان الأول أشيع) : أيضا ، علمه وشعر به •(وهذا الثلاثى المجرد يستخدم غالبا بمعنى " قتل واستأصل " ، وهو فى هذه الحالة لايكون الا متعديا• ومنه فى القرآن الكريم : " اذ تَحسونهم باذنه ") (١) •

والآن كيف نعرب قوله صلى الله عليه وسلم : " هل تحسون فيها من جدعاء ؟" وعلى وجه التحديد : كيف نعرب حرف الجر " فى " ؟ ان " فى " هنا ليست على معناها الأصلى • ولكنى مع ذلك لا أحب أن أفعل كما يفعل النحويون حين يسمون حرف الجر فى هذه الحالة " حرف جر زائدا " • ذلك أن حروف الجر فى مثل هذه الحالة تكون لها وظيفتها فى الجملة ، ومادامت لها وظيفتها فكيف يقال انها زائدة ، وبخاصة أن هذا كثيرا مايرد فى القران • الحق أنه لايصح أن نقول على القرآن انه يأتى فى كلامه باشياء زائدة • اننى أرى أن " فى " فى هذه الحالة تؤدى نفس المعنى الذى

تؤديه " من " فى قولنا : " لقد أساء الى زورا وبهتانا ، ومع ذلك فلم يجد منى الا خصما شريفا " ٠ان " من " هنا تدل على التجريد ، فالمتكلم فى الجملة قد جرد من نفسه شخصا ثانيا ٠ ويمكن أن نستخدم " فى " مكان " من " فنقول : " ٠٠٠ومع ذلك فلم يجد فيَّ الا خصما شريفا " ٠

أما " من " فى قوله عليه السلام " من جدعاء " فهى للتأكيد (مرة أخرى، يسمى النحويون " من " فى مثل هذا التركيب " حرف جر زائدا " ، ولكنى كما بينت لا أستريح لهذه التسمية) ٠

والاشارة فى الصورة الى أن البهيمة المنتوجة قد خرجت من بطن أمها سليمة لانقص فيها ولاتشويه ٠ فاذا وجدناها بعد ذلك ناقصة مشوهة فلنعلم أن ذلك أمر قد طرأ عليها ، وأن الذى أحدث فيها هذا التشويه هو صاحبها ٠ وذلك بفعل العقائد الوثنية القبيحة التى لاتترك الخلقة الجميلة على حالتها ، بل تمد اليها يد الأذى والعدوان ٠ وقد أشار القرآن الكريم الى هذا بقوله : (وان يدعون الا شيطانا مريدا * لعنه الله ، وقال : لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ، ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ، ولآمرنهم فليغيرن خلق الله (٢) ٠ ومن الواضح أن القرآن يعزو هذا التشويه والعدوان الى نزغ الشيطان واضلاله ٠ وهو ماقلناه من قبل حين أرجعنا الانحراف عن الفطرة الى وساوس الشيطان ٠

وأحب الا يفوتنى التنويه الى أننا ينبغى الا نوسع دائرة التشبيه أكثر مما أراده لها الحديث النبوى الكريم ، فالحديث يتحدث عن حالة بعينها حين تكون البهيمة المولودة بهيمة جمعاء ٠ ان البهيمة الجمعاء لايمكن أن تكون جدعاء ، لان وجود هذه مناقض لوجود تلك ٠ بيد أنه كثيرا مايحدث أن تولد البهيمة مشوهة تشويها خلقيا لامدخل ليد البشر فيه ، فهل يصح الاعتراض بهذا على الحديث ؟ الجواب : كلا ، اذ ليس قصد الحديث الاشارة الى جميع حالات الولادة والقول انها كلها لاتكون الا جمعاء ، بل الكلام فيه مقصود على حالة أو حالات بعينها كما سلف القول ٠

وفى الحديث الشريف ، الى جانب الصورة التى مثلت الفكرة المراد تقريرها تمثيلا حيا وابرزتها فى وضوح مقنع وعلى نحو ينفذ الى العقل والقلب نفوذا لاستمداد عناصرها من بيئة السامعين ، فى الحديث الى جانب هذا حيوية أتت من المراوحة بين الخبر (فى قوله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة ٠٠٠ بهيمة جمعاء") والانشاء (وذلك قوله سائلا : " هل تحسون فيها من جدعاء ؟") ، فهذه المراوحة تجعل للكلام نتوءات تخرج به عن المألوف الذى قد يفقد السامع معه قوة الاحساس والانفعال ٠ ثم لاننس أن التحول من الخبر الى السؤال جاء مفاجئا ، فبعد أن كان السامعون ينتظرون من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يمضى هو فى الحديث اذا به فجأة يتوقف ويوجه اليهم سؤاله ، وبذلك نقلهم من حالة الاستماع الى حالة الكلام ، ومن حالة الاستقبال السلبى الى حالة الارسال والمشاركة الايجابية ٠ ومن ثم أحدث فى نفوسهم هزة وزيادة نشاط ، وحول الموقف من السكون الى الحركة ٠ وهذه هى الحيوية ٠

ليس هذا فقط ، بل هناك هذه الموسيقى الجميلة فى قوله : " يهودانه - ينصرانه - يمجسانه " ، تلك الموسيقى الآتيه : من أن صيغة الأفعال الثلاثة واحدة (وهى صيغة" يُفَعِّل ")وأنها جميعا تنتهى بألف بعدها هاء ونون مكسورتان ، وأنها قد تتالت مما أبرز الموسيقى التى بينها ابرازا ٠ وكذلك فى قوله: " جمعاء - جدعاء " اللتين بينهما لا جناس فقط (كما ظن بعض الباحثين) بل جناس وسجع ، وفوق ذلك طباق ٠ والطباق نوع من أنواع الموسيقى الذهنية ، اذ هو عبارة عن تقابل شيئين متناقضين ، فهذا التقابل والتناقض لون من موسيقى الأفكار ٠ ويضاف الى ذلك هذا التجاوب

الذى بين الألفاظ ذات الأصل الواحد كـ " مولود " و " يولد " ، وكذلك " البهيمة " و " بهيمة " ٠

ان هذه الموسيقى تبعد عن الفكرة جفافها ٠ انها تشبه اللحن الذى يصاحب مايقوله المذيع فى بعض البرامج الاذاعية فيجعل له رونقا ولذة ويسهل نفوذه الى الذهن ويجعل النفس تتطلع منه الى المزيد ٠

كذلك ففى هذا الحديث تركيب من تراكيب الكلام لايوجد نظير له فى القرآن الكريم ٠ وهذه القضية قد بحثتها باستفاضة وشمول فى دراسة لى عن الفروق بين الأسلوب القرآنى وأسلوب الحديث النبوى أرجو من الله سبحانه أن يسهل طبعها قريبا ٠ ولكن الذى يهمنا هنا هو التركيب التالى " كل (مبتدأ) + مضاف اليه + فعل مضارع (خبر المبتدأ)٠٠٠٠" ، والموجود فى قوله عليه الصلاة والسلام : " كل مولود يولد على الفطرة " ٠ فهذا التركيب قد تكرر فى أحاديث أخرى ٠

أما فى القرآن فلم يرد البته ، وكل الذى نجده فيه هو العبارات التالية وأشباهها:

- " كل فى فلك يسبحون (٣) ٠
- " كل الينا راجعون " (٤)
- " كل حزب بمالديهم فرحون "(٥) ٠
- " وكل اتوه دآخرين " (٦)٠

مما لم تستوف أى منها عناصر التركيب الذى فى الحديث ، فهى أما أن كلمة " كل " فيها غير مضافة ، أو مضافة ولكن الخبر ليس فعلا أصلا أو ليس فعلا مضارعا ، واما ينقصها هذا وذاك معا٠

أما الأحاديث النبوية فاليك بعض ماعثرت عليه من شواهد على هذا التركيب :

- " كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى " (٧) ٠
- " كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعيه الا ٠٠٠ " (٨) ٠
- " كل الميت يختم على عمله الا المرابط " (٩) ٠
- " كل الكذب يكتب على ابن آدم الا ثلاث ٠٠٠ " (١٠)

الحديث الثانى

عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . " سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الا ظله .
امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه . ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله : اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال . انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "

(متفق عليه)

هذا الحديث الشريف يتضمن بين العباد على سبعة يتمتعون بميزة عظيمة فى اليوم الآخر ، وهى بسط الله عليهم ظله العظيم الكريم . والناظر فى هؤلاء السبعة سيجد أنهم يتميزون على غيرهم من المؤمنين بقوة ايمانهم وصلابة أخلاقهم وشدة قربهم من الله سبحانه وعظيم حبهم ومراقبتهم له . وأنهم قد ثبتوا على المحك حين وضعتهم التجارب فى أشد المواقف حروجة . ولكن ماطبيعة ذلك الظل الالهى الذى يتحدث عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ؟ يقول بعض الباحثين ان المراد بالظل هنا هو الظل الحقيقى حيث يكون هؤلاء السعداء تحت ظل العرش يوم القيامة بقرينة قوله : " يوم لاظل الا ظله " فلايمسهم حر الشمس ولاوهجها . ثم عاد فذكر رأيا آخر مفاده أن المراد بالظل هو الكرامة والحماية ، أى أن الظل هنا هو ظل مجازى ، ولكنه رجح الرأى الأول .

وفى رأيى أننا ينبغى أن نكون حذرين فى مثل هذه المسائل الغيبية التى لايعلمها الا عالم الغيب والشهادة . ان الظل معروف ، ولكنه هنا هو ظل الهى مما لايدخل فى نطاق معرفتنا وخبرتنا ، فلنترك أمر كنهه الى الله سبحانه وتعالى . ومع ذلك فاننى أحب ألا نقصره على الاظلال من وهج الشمس وحرها ، اذ ان العبد محتاج الى ظل ربه سبحانه لامن الشمس وحدها بل من أشياء كثيرة . فلنطلق الظل مادام الحديث قد أطلقه . وأيا ما يكن معناه فاننا كلنا نرجو أن يشملنا الله سبحانه بحمايته ورعايته وحبه وستره ومغفرته وثوابه ، وأن يباعد بيننا وبين غضبه وعقابه وجهنم وزمهريرها ولفحها ، ومن الفضيحة على رؤوس الأشهاد يوم القيامة .

واذا كانت الظلال فى الدنيا ظلالا محدودة فى الزمان والمكان فان ظل الله ممتد بلا حدود. هذا ولا أحب أن يقال ان فى الكلام حذفا تقديره : " فى ظل عرشه " اذ قد تكرر فى العبارة النص على أنه " ظل الله " ثلاث مرات . وليس من المستساغ بعد هذا كله أن نتجاهل مانص عليه الحديث ونقدر محذوفا ، وبخاصة أنه لايوجد مايحوجنا الى ذلك ، فقد قلنا ان الله أعلم بمراده .وقد عبر الحديث الشريف عن يوم القيامة بقوله : " يوم لاظل الا ظله "، فهل معنى ذلك أن من الممكن الاستغناء عن ظله تعالى فى الدنيا ؟ ان الظلال فى الدنيا كثيرة، سواء كانت ظلالا حقيقية كظلال الجدران والأشجار ، أو ظلالا معنوية كظل الأبوين وظل الدولة وظل الحاكم العادل . لكن هذه الظلال، شأنها شأن كل شيء فى الكون ، هى من الله سبحانه وتعالى ، فلم اذن لجأ الحديث الى هذا التعبير الذى قد يفهم منه أن هناك فرقا بين الدنيا والآخرة فى هذا السبيل ؟ يبدو لى ، والله أعلم

، أن المراد الاشارة الى أن الله سبحانه قد شاء أن يمهل الكافرين العصاة فى الدنيا فلا يعاجلهم بعقابه فى التو واللحظة ، بل يتركهم الى يوم البعث حين لايعود ثمة امهال وانظار ، بل معاجلة بالثواب والعقاب ٠

وان العبارة بصياغتها لتوحى أقوى الايحاء بامتداد الظل وورفه الى مالانهاية ، فقد تكررت كلمة " الظل " مابين فعل واسم أربع مرات بحيث يجدها الانسان بين كل كلمة وأخرى تقريبا ، فضلا عن أن العبارة قد ختمت بها ٠ فهو أينما توجه ببصره فى الجملة قابلته الظلال ، حتى انه ليكاد يشعرها على بشرته وفى روحه نعومة بال وسكينة ٠

كما أن العبارة بصياغتها تدل على مدى الكرامة التى شمل الله سبحانه بها هؤلاء السبعة المجدودين ، اذ تصورهم وقد أووا الى ظل الله ، أى أصبحوا بجواره ، وفى كنفه ، يوم لابطش الا بطشه ، ولارحمة الا رحمته ، فهم قد أحتموا منه عز وجل به ٠ فهل هناك بعد هذا أمان ؟، وهل وراء الجوار الالهى من تكريم ؟

امام عادل

وأول من ذكره الحديث من هؤلاء المحظوظين السبعة الامام العادل ٠ و " الامام " اسم مشتق من " أَمَّ (القومَ) " أى تقدمهم ٠ وقد تكون هذه الكلمة مصدرا (الى جانب " إِمَامَة " و " أَمّ ") ، وقد يكون معناها مايمتثل عليه المثال ، أو الطريق الواضح ، أو الخيط الذى يمد على الجدار أثناء بنائه لضمان مجيئه مستقيما ٠ وكل هذه المعانى تفيد الاستقامة التى ينبغى الاقتداء بها ٠ وهو مايصدق كذلك على معنى الكلمة فى الحديث الذى بين أيدينا ، وهو الرجل الذى يأتم به القوم ، أى يقتدونه ٠ وجمعها " أئمة " ٠ وقد استعملها القرآن للجماعة بصيغة المفرد ، وذلك فى قوله تعالى : " واجعلنا للمتقين اماما (١) ٠وقد يكون هذا المؤتم به امام مسجد أو مدرسا أو ناظر مدرسة أو قائدا عسكريا أو مديرا فى مؤسسة ، وهلم جرا ٠ ويلاحظ أن الحديث لم يحدد معنى " الامام " ، والأفضل ترك الكلمة مطلقة لتشمل كل ذى سلطان يأتم به الناس، وان أتى على رأسهم حاكم الدولة ، لعظم المسئولية الملقاة عليه ٠ فان السلطة مغرية بالجور والتعدى ، وعلى قدر مافى يد الفرد من سلطة تكون قوة ذلك الاغراء المهلك : المهلك للامام والمأمومين معا ٠

واذا كان من الممكن أن يفلت الامام الجائر من هلاك الدنيا فلن يفلت من هلاك الآخرة ٠ ولأن الرسول عليه الصلاة والسلام بثاقب بصره وعميق فهمه للطبيعة البشرية وأوضاع المجتمعات والامم وقبل ذلك بما يوحى اليه من الله ، يدرك كم تطغى السلطة وتبغى ، وكم هو من الصعب الصاعب أن ينجو من براثن ذلك ناج ٠ فقد جعل الحديث جزاء الامام الذى يستطيع أن يقاوم نزعات الظلم الكامنة فى أعماق النفس الانسانية بوجه عام ويخلص من أوهاقها هو الاستظلال بظل الله يوم لاظل الا ظله ٠ ليس هذا فقط ، بل ان " الامام العادل " قد ذكر على رأس القائمة ٠

وشاب نشأ فى عبادة ربه

الشباب مملوء بطاقة الحياة ، وغرائزه تكون فى عنفوانها ، وقلما يخطر له الموت على بال ، فالحياة حلوة زاهرة زاهية فى نظره ، أى أن دواعى الأغراء التى تبعده عن ربه وعبادته كثيرة وكبيرة٠ ولأنه على قدر المقاومة والتحمل يكون الجزاء فقد خصص الحديث للشاب اذا استطاع أن يغلب هذه

الاغراءات الجبارة الهادرة مكانا فى ظل الله سبحانه ٠

و " العبادة " فى الاسلام ميدانها فسيح ، ولاتقتصر على الصلوات والصيام وما أشبه من الوان العبادة بمعناها الخاص، بل تشمل أيضا كل عمل نافع للفرد أو المجتمع أو البشرية كلها أو حتى العجماوات مادام قد قصد به وجه الله العلى الكريم ٠ فاستذكار الطالب عبادة ، وسهر المفكر الكاتب عبادة ، وقيام الطبيب بالكشف على مريض أو اجراؤه عملية جراحية وتخفيفه آلام المعذبين عبادة ، والمدرس حين يلقى درسه أو يصحح كراسات طلبته أو يجهز محاضرته هو فى عبادة ، والعامل أمام آلته فى مصنعه هو أيضا فى عبادة ، وسهر الجندى عبادة ، والحاكم فى مجلسه مع وزرائه ومستشاريه هو فى عبادة ، والأم حين ترضع وليدها أو تطبخ لأفراد أسرتها مثلا هى أيضا فى عبادة ، والفلاح حين يسقى بهيمته هو كذلك فى عبادة ٠٠٠ وهكذا ، وهكذا من ألوان النشاط الانسانى التى لاتكاد تنتهى مادام رضا الله هو المقصود ٠

ونشوء الشاب " فى " عبادة ربه معناه أنه " يعيش" فى عبادة ربه كما يعيش الانسان فى بيته ٠ أى أنه لايلامس عبادة ربه ملامسة أو يلم بها بين الحين والحين ٠ لا ، ولكنه يعيش فيها عيشا دائما

وقد أضيفت لفظة " رب " الى الضمير العائد على الشاب فقيل " ربه " ، مع أنه ليس وحده ، بل رب الكون كله ٠ والسر فى ذلك هو أن الشاب كما أحب ربه هذا الحب الذى جعله كأنه يعيش فى عبادته فكذلك أحبه ربه وأضاف اسمه اليه كأنه هو ربه وحده ٠ والمقصود أن له منزلة خاصة عند الله سبحانه ٠

ورجل قلبه معلق فى المساجد

أى يحبها حبا شديدا ٠ وحب المساجد ليس معناه المداومة على الصلوات فيها فقط ، بل يدخل فيه أيضا الاهتمام بتنظيفها وتطييبها وبناء المزيد منها والحرص على ترغيب الناس وتحبيبهم فيها ٠ ومن ذلك تعميرها بالمكتبات التى تضم المصاحف والكتب المفيدة للمسلم فى دنياه وأخراه ، والحاق العيادات الصحية بها ، وما الى ذلك مما من شأنه أن يجعل القلوب تهوى اليها وتتخذها قبلة لانى الصلاة فحسب ، بل فى كل الأمور التى تهم الاسلام والمسلمين ، فان دور المسجد فى الاسلام دور عظيم جليل الخطر ٠

وانظر كيف عبر الحديث عن حب المساجد ٠ ان المحب للمسجد اذا ماخرج منه فانه يخلف قلبه وراءه معلقا فيه ، أى أنه يسعى فى الحياة بين البشر وقلبه وفكره واهتمامه هناك ، فى المسجد ٠ لقد استولى المسجد على خواطره وعواطفه ! لقد انتزع المسجد قلبه من بين ضلوعه انتزاعا ! لقد علق قلبه تعليقا ! وكثيرا ماعبر الشعراء المحبون عن شدة تدلههم فى هوى من يعشقون بأن قلوبهم قد علقت فى شباك الحبيبة ٠ أما هذا الرجل فانه قد استبدل بالحبيبة البشرية حبيبة من نوع آخر ، الا وهى المساجد ٠

ورجلان تحابا فى الله : اجتمعا عليه ، وافترقا عليه

جد صعب أن يصفو القلب البشرى تماما من نزغات المصالح الشخصية ٠ تلك مرتبة عالية لايبلغها الا من رضى الله عنهم ورضوا عنه ٠ ومن هنا أفسح الحديث فى ظلال الله مكانا لاولئك الذين يستطيعون أن يتخلصوا من هذه النزغات وأن يكيفوا مشاعرهم على حسب رضا الله ، فلا

يحبوا الا فى الله ولايكرهوا الا فى الله . وبذلك لايكون حبهم لغيرهم ريشة فى مهب الرياح الهوج ، لاتثبت على حال ولاتبقى فى مكان ، بل يظل كالصخرة الراسية ، لأنه حب مؤسس على مراعاة وجه الله سبحانه .

ان صداقات كثيرة تفشل ، ومودات كثيرة تنفصم عراها . والسبب فى معظم الحالات هو أن القلوب يملؤها الغش والدخل ، ويسيطر عليها حب الذات وحساب المنافع الشخصية . ولو قامت هذه المودات وتلك الصداقات على ركيزة من حب الله وابتغاء رضاه لعمرت وورفت ظلالها وآتت ثمارها جنية شهية ، وسعد بها أهلوها وسعد بها من حولهم ، لأن السعادة كالشقاء تعدى .

و " تحابا " هو فعل ثلاثى مزيد بحرفين من " حب " . وهذه الصيغة تدل على " التفاعل " ، أى أن كلا من الطرفين يحب صاحبه ويحبه صاحبه .

وقوله : " اجتمعا عليه ، وافترقا عليه " معناه أنهما متحابان اذا التقيا ، ومتحابان اذا افترقا ، ومتحابان حين يكون كل منهما وحده . انه ليس حبا وقتيا ، ولاحبا فى حال دون حال .

وحرف الجر " على " يفيد أن تحابهما هو الركيزة التى يقوم " عليها " اجتماعهما وافتراقهما . وليس من أسس علاقته بالآخرين " على " أساس من تحاب الله ، وهو أساس صلب متين ، كمن أسس علاقته على شفا جرف هار من نزوة الهوى وانفعال النفس الأهوج ، والتعبد للمنافع الذاتية .

ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله

لم يقل الحديث : دعته " لأى شىء ؟ " ، بل حذف تعففا وتطهرا ، وكذلك لاشعار السامع بفداحة ما دعته اليه وقبحه ، اذ القبيح يستر .

وقوله : " ذات منصب وجمال " معناه أن دعوتها ذلك الرجل مغرية أشد الاغراء . ان الجمال مغر ، وهو حبالة من حبالات الشيطان . فاذا انضم الى الجمال المنصب ، وهو عزة المرأة فى قومها أو مالها الكثير أو شهرتها فى المجتمع أو وظيفتها التى ترمقها العيون ، أصبح الاغراء مضاعفا والمقاومة أصعب ، اذ النفس مولعة بالتطلع الى الأعالى . وأى علو للمرأة أعلى من أن تكون جامعة بين الجمال (وهو اغراء الجسد) والمنصب (وهو اغراء معنوى فتاك) ؟ . ثم أنها هى التى تدعوه ، ومعنى ذلك أن الحواجز النفسية والاجتماعية التى من شانها أن تكبح جماحه وتمنع بصره من الاستشراف لها والطماح الى الوصول اليها فضلا عن الفوز بها ، هذه الحواجز والمخاوف قد انهارت ، أى أن الطريق قد أصبح معبدا سهلا . فاذا تأبى بعد هذا كله فذلك المؤمن . لقد وعد الحديث هؤلاء السبعة بامتياز عظيم فى المعاملة الالهية لهم يوم القيامة ، وهذا الامتياز يتطلب امتيازا خلقيا عظيما بدوره . وأى امتياز فى الأخلاق أعظم من أن يستعصم الرجل أمام هذه المغريات التى من شانها أن تزلزل فى النفس لو لم يلذ صاحبها من الخوف من الله والحياء منه والحب له والرجاء لما عنده وتفضيله على ماعداه بحصن حصين وركن ركين ؟ .

" والفاء " فى قوله : " فقال : انى أخاف الله " تفيد أنه رد فى الحال فلم يتلجلج ، بل كان ايمانه حاضرا فرفده بما مكنه من أن يستعلى على صيحة الشيطان فى الحال .

وقد نص الحديث على أن جوابه الحاضر هو : " انى أخاف الله " ، فكابحه اذن هو الخوف منه سبحانه ، والخشية أن يحرم من ألطافه ورحمته ، والحياء من أن يراه وهو يعصيه ، لا الخوف من المجتمع وألسنة الناس ، أو العقوبة القانونية ، أو اغضاب زوجته مثلا ، وان لم يكن فى هذا فى حد

ذاته مايقلل من ايمانه مادام مانعه الأول هو خوف الله ، لان هذا المانع هو الباقى الدائم ، أما تلك الموانع الأخرى فهى موانع عارضة ، فلو انتفت ولم يكن هناك الخوف من الله لكانت النتيجة أن يستجيب الرجل لنداء الشهوة الذى يؤازره صيحة الجمال وسحر المنصب • ولاينغى أن يفوتنا استعمال " ان " فى قوله : " انى أخاف الله " ، بماتفيده من أن موقفه موقف صلب ، اذ ان هذا الحرف كما هو معلوم يفيد التأكيد •

وقد ذكر القرآن فى سورة " يوسف " موقفا تمثل فيه هذا اللون من الايمان والخوف من الله والصمود فى وجه مثل ذلك الاغراء العاتى المدمر ، وبخاصة أن امرأة العزيز (وهى هنا المرأة ذات المنصب والجمال) لم تقف عند دعوة يوسف عليه السلام ، بل غلقت الأبواب وقالت : " هيت لك ! " • وحين أراد يوسف أن يفر من وجهها انطلقت وراءه وجذبته بعنف من ثيابه حتى تمزقت • ولم تكتف بهذا حتى بعد شيوع الأمر ولوك النساء فضيحتها ، بل هددته بالسجن والاهانة • ثم انه قد سجن فعلا ثلاث سنين ظلما وبغيا وتحديا لكل القيم الكريمة ، ومع هذا فقد صبر وثبت واجدا فى الايمان بالله عز وجل والخوف منه والتطلع الى ماعنده من ظل وريف وكنف رحيب كريم ما أعانه على الصبر والثبات •

ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه

كثير من الصور الأدبية التى يمر بها القارىء سريعا لو وقف عندها وتأملها لبدا له منها جوانب من الجمال والامتاع كانت خافية عن عينيه المتعجلتين • ومن الصور الادبية التى من هذا النوع هذه الصورة التى نحن أمامها • ان الرسول عليه السلام قد استعمل هنا " حتى " التى للتعليل (وبعض الباحثين يرون أنها للغاية ، وهو غير صحيح • وغيرصحيح أيضا ماقالوه من أنها يمكن أن تكون تفريعية)• وهذا التعليل معناه أن ذلك المتصدق كان يعرف أن شماله ستعلم لامحالة ماذا تنفق يمينه، ولهذا فانه أخفى جيدا مافعلته يمينه • فهذا هو السر فى استعمال " حتى " هنا• ثم ان حرص الرجل على اخفاء الصدقة يعنى أن شماله تتجسس على يمينه وتحاول أن تحصى عليها أعمالها • كذلك فالصورة ترسم لنا اليد اليمنى كأنها انسان مستقل يتصرف بطريقته الخاصة ويفعل مايشاء حين يريد • ولنتمعن أيضا كيف اختار النبى عليه الصلاة والسلام اليد اليمنى لفعل الخير ، واختار اليد اليسرى للتجسس والتصنت • ان اليمين فى الاسلام هى عنوان الخير والبركة والنماء ، أما الشمال فهى رمز الشؤم والشر وكل عمل ذميم • وقد كان الحديث موفقا غاية التوفيق اذ استعمل كلمة " شماله " ولم يقل " يسراه " ، فان " اليسرى " قريبة من اليسر ، وقد استعملها القرآن الكريم لا فى مقابل " اليمنى " بل فى مقابل " العسرى " (٢) • أما الشمال فقد تعدد استعمالها لأهل الجحيم والمشأمة (٣) • ولأمر ما ذكر النبى عليه السلام فى حديث آخر له أن كلتا يدى الله يمين • والصورة تصف لنا مدى حرص بعض المتصدقين على اخفاء صدقاتهم • وهذا الحرص الشديد يظهر فى أن بعضا من الانسان المتصدق لايعرف مايفعله البعض الآخر • فأحر بغير المتصدق أن يجهل هذه الصدقة جهلا تاما مطلقا • والمقصود من الكلام هو ابراز خلوص النية لله المطلع على خفايا القلوب والجوارح ، وعدم جرح مشاعر المتصدق عليهم ولو بكلمة أو نظرة •

ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

فى الخلوة تجيش المشاعر ويكون الانسان بأعصابه كلها مع الله فلا يتحرج من البكاء أمامه سبحانه اذا كان العبد مؤمنا • وليس شرطا أن يكون البكاء من الخوف من الله ، فما أكثر ماتنهمر الدموع حياء من الله ، أو استعانة به ، أو استنصارا له على عدو باطش لئيم ، أو تنفيسا عما يفعم قلب العبد من أحزان وهموم ، أو حبا له •

ولم يقل الرسول : " بكى ، أو بكت عيناه " ، وانما قال " فاضت عيناه " • وهناك فرق بين قولنا : " فاضت عيناه " وقولنا : " فاض دمعه من عينيه " • ان فيضان الدمع معناه أن الدمع قد ملأ العين حتى حافتها وزيادة ، أما فيضان العينين أنفسهما فهو العجيب • ان البكاء اذا كثر وبلغ مدى رهيبا من الحرقة فقد تعمى العينان • أما أن تفيضا فهذا هو الجديد المذهل •

وهذه الصورة قد وردت فى القرآن كما وردت فى الحديث • ولكن هناك عدة فروق ، ففى القرآن تقول الآية الكريمة : " تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا " (٤) ، فالأعين (الفاعل) مقدمة على الفعل ، على حين أن الحديث قد ركب الجملة بالعكس • كذلك فان الآية تقيد الفيض بأنه " من الدمع " ، أما الحديث فلم يفعل وأطلق الفيض • وثالثا فقد بين القرآن سبب فيض الأعين ، الا وهو الحزن ، على خلاف الحديث ، الذى لم يسق للبكاء تعليلا •

وسكوت الحديث عن تعليل فيض العينين يجرنا الى نقطة هامة • ان بعض من تصدوا لشرح هذا الحديث ذكروا أن البكاء هنا سببه خشية الله ، وبذلك حجروا واسعا ، اذ ليس كل بكاء ناتجا عن عاطفة الخشية وحدها ، فما أكثر ماتزدحم مثلا مشاعر الحب أو الاعجاب الكثيف ببديع الصنع الالهى فى صدر المؤمن فتنبجس عيناه بالدمع الهتون •

والمتأمل فى الحديث يجد علاوة على مامر :

١- أنه مامن جملة من جمله السبعة الأساسية الا وورد فيها حرف العين على الأقل مرة • وتكرر حرف العين على هذا النحو بمثابة قرعة بالناقوس لطيفة تنبه السامع الى أنه بصدد قسم من الأقسام السبعة التى ذكر الحديث أنها مستظلة ان شاء الله بظل ربها يوم لاظل الا ظله • وتوالى القرعات اللطاف على مدى الحديث كله يحدث رنينا موسيقيا جميلا •

٢- كذلك فبعض الألفاظ فى نهاية الجمل تتجاوب موسيقيا ، تجاوبا واضحا أحيانا أو خافتا أحيانا أخرى : (فى ظله / الا ظله - اجتمعا عليه / وتفرقا عليه - منصب وجمال / أخاف الله - شماله / يمينه • انى اخاف الله / ففاضت عيناه) •

٣- ويلاحظ أيضا أنه عليه الصلاة والسلام فى استقصائه للسبعة المحظوظين قد اعتمد التنويع ولم يجعل الجمل كلها طولا واحدا ، فالأولى قصيرة جدا (امام عادل) ، والثانية أطول قليلا ، والثالثة أطول منها ، وهكذا الى السادسة ليعود فى الجملة السابعة ، وهى الأخيرة ، فيجعلها وسطا لاهى بالطويلة ولا هى بالقصيرة • ولم يقتصر التنويع فى الحديث على طول الجمل بل امتد الى أصناف السبعة الفائزين بالظل الالهى ، فمن " امام" فى البداية الى " شاب " الى " رجل " الى " رجلين " ليعود الكلام ثانية الى " رجل " فـ " رجل " فـ " رجل " •

وهذا التنويع يضفى مرونة وحيوية على الكلام وينفى عنه التخشب والجرى على وتيرة واحدة

تسبب غالبا الاملال .

ونصل الى اعراب مايحتاج الى اعراب من ألفاظ الحديث :

فـ " سبعة " قد تكون مبتدأ ، وخبره " يظلهم الله فى ظله " . وقد تكون مبتدأ ، وجملة " يظلهم الله " نعت لها ، أما خبره فهو " امام عادل ، وشاب نشأ ... الخ " . كما أنها يمكن أن تكون خبرا ومبتدؤه هو : " امام عادل ... الخ " ، ويكون تركيب الجملة مقلوبا ، أى الخبر فى أول الكلام والمبتدأ بعده .

وقد شرحت معنى " حتى " فى درج تحليل الحديث الشريف وقلت انها للتعليل . ولايخفى أن عملها النصب ، نصب الفعل المضارع بعدها ، وهو هنا " تعلم " .

وقد ذكر الشيخ محمد على الصابونى عند تعرضه لاعراب مقول القول أن الفعل " قال " ينصب الجمل ولاينصب المفرد (٥) . وهو كلام ينقصه التدبر ، ذلك أن " قال " تنصب المفرد كما تنصب الجمل . كل ماهنالك أن عملها فى الجمل اغلب . قال تعالى : " ولقد قالوا كلمة الكفر " (٦) ، " وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن " (٧) ، " قال : فالحق ، والحق أقول * لأملأن " (٨) ، " يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم " (٩) ، " وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا " (١٠) ، " يقولون منكرا من القول وزورا " (١١) ... الخ .

-- كذلك فانه يشيع بين النحويين أن الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال . وهذا الكلام ليس على اطلاقه . وقد رأينا كيف أعربنا " سبعة " وهى (نكرة) مبتدأ ، وأعربنا جملة " يظلهم الله " بعدها خبرا على أحد التوجيهين . وعلى هذا فينبغى أن نضيف الى مايقوله النحاة أن ذلك صحيح بشرط ألا تكون الجملة مسندة الى النكرة ، والا فهى خبر لها وليست صفة ، وبشرط ألا تكون هذه الجملة مستأنفة بعد أن انتهى الكلام السابق عند الاسم النكرة . ونفس الشىء ينطبق على الجملة التى تأتى بعد المعرفة ويقولون انها تعرب حالا .

بقى أن نشير الى تركيب ورد فى هذا الحديث وفى أحاديث كثيرة غيره ولم يرد فى القرآن الا فى مواضع ثلاثة لاغير ، مما يعد من السمات الفارقة بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب الحديث النبوى الشريف ، وهو الاجمال بذكر العدد ثم التثنية بذكر المعدود تفصيلا ، وذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام: " سبعة يظلهم الله ... : امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ... الخ " .

ان هذا التركيب لم يرد فى القرآن الا فى قوله تعالى : " ثمانية أزواج : من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ... ، ومن الابل اثنين ، ومن البقر اثنين " (١٢) . " ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء " (١٣) . " وكنتم أزواجا ثلاثة : فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ؟ * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة؟ * والسابقون السابقون * أولئك المقربون " (١٤) .

أما الأحاديث النبوية المشرفة فقد ورد فيها هذا التركيب كثيرا جدا . وساجتزىء هنا ببعضها ، وهاهى ذى الشواهد :

" يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان : ... " (١٥) .

" لاحسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا ... ، ورجل آتاه الله علما ... " (١٦) .

" ان الله يدخل ثلاثة نفر الجنة بالسهم الواحد : صانعه ... ، والرامى به ، ومنبله "(١٧)

" ثلاث ليس فيهن لعب : النكاح والطلاق والعتق " (١٨) .

" الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، ولرجل وزر" (١٩) .

" أربع من سنن المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح " (٢٠)

" آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع ... : ... " (٢١) .

" خمس من الدواب ليس على المجرم فى قتلهن جناح : ... " (٢٢) .

" حق المسلم على المسلم خمس : ... " (٢٣) .

" للشهيد عند الله ست خصال : ... " (٢٤) .

" أجتنبوا السبع الموبقات ... : ... " (٢٥) .

" سبعة يظلهم الله فى ظله ... : ... " .

وغير ذلك من الأحاديث وهى جد كثيرة .

الحديث الثالث

عن ابى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" ان بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل " .

(من صحيح الترمذى)

الساعة

للساعة فى اللغة عدة معان ١-: مدة من الزمن صغيرة . وقد ورد بهذا المعنى قوله تعالى : " فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون " (١) ، و " ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة " (٢) ، " ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار " (٣) ، " كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار " (٤) .

٢- الآن . وذلك كما فى قولنا : " هو مشغول الساعة " . وكما نطلق لفظة "الآن" مرادا بها ماحدث لتوه أو ماسيحدث من فوره فكذلك نستخدم كلمة " الساعة " ، فنقول : " لقد وصلنى الساعة خطاب هام " و " ستصل طائرة نيويورك الساعة " .

٣- وقد تطور معنى هذا اللفظ وأصبح أيضا يدل على مدة من الزمن محددة تعرف عن طريق آلة القياس الزمنية المسماة هى أيضا بـ " الساعة " . ومن ذلك قولنا : " الساعة ستون دقيقة " ، و " سأسافر عند الساعة الخامسة " ، و " فى اليوم أربع وعشرون ساعة " .

٤- وكما تطورت هذه اللفظة وأصبحت تدل على المدة الزمنية المحددة بستين دقيقة والتى تعرف عن طريق آلة القياس الزمنية التى نلبسها فى معاصمنا أو نعلقها على الجدران ... الخ فقد تطورت أيضا الى أن أصبحت تطلق (كما سلفت الاشارة فى رقم ٣) على هذه الآلة أيضا ، فنقول : " اشتريت ساعة يابانية " ، أو " هذه الساعة أجمل أو أدق أو أغلى من تلك " ، وكان القدماء يعرفون " الساعة الرملية " و " الساعة المائية " و "الساعة الشمسية " ، أى الساعة التى تقيس الوقت عن طريق تسرب كمية معينة من الرمل ، وتلك التى تقيسه بالماء بنفس الطريقة ، وتلك التى تقيسه بظل قطعة من الحديد مثلثة مثبتة فى وسط مربع مقسم أقساما معينة ، فكلما تحرك الظل على هذه الأقسام عرف مامر من الوقت . وهى بطبيعة الحال لاتعمل الا بالنهار حين تكون الشمس مشرقة .

٥- أما المعنى الذى ورد فى الحديث الذى نحن بصدده الآن فهو الوقت الذى ينهدم فيه الكون وتنتهى الدنيا ، فتكور الشمس، وتنكدر النجوم ، وتسجر البحار ، وتكشط السماء ، وتبعثر القبور ،

ولكن لم سميت " الساعة " بهذا الاسم ؟

بعضهم يقول انها سميت بذلك لأنها تظهر فى أدنى لحظة من الزمن . ولكن الأرجح فى نظرى أنها سميت كذلك دلالة على أنها الساعة التى حددها الله سبحانه وتعالى لانتهاء الدنيا وبدء الحياة الأخرى ، فكأنها كانت تسمى فى الأصل : " الساعة التى ستنتهى فيهاالدنيا " ثم حذفت الصفة وبقى الموصوف وحده . ونحن الآن نقول : " ساعة الصفر " ،أى الساعة التى حددت لبدء حرب أو للقيام بعملية عسكرية مثلا .

ومثل " الساعة " فى هذا تسمية القرآن الكريم بـ " الكتاب " ، اختصارا لعبارة " الكتاب الذى أنزله الله على محمد صلىالله عليه وسلم " . اى أن " الكتاب " قد تحول من اسم جنسالى اسم علم . ونفسالشيء يصدق على كلمة " الساعة ".

" والساعة " كلمة مفردة جمعها : " ساعات / ساع/ سياع " .

والملاحظ بالنسبة لموقف القرآن من تحديد الساعة أنه ينص نصا على أنها تأتى بغتة ، أى على غير توقع ولا علم بميعادها :

" حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا : ياحسرتنا على مافرطنا فيها " (٥).

" أو تاتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون " (٦) .

"هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لايشعرون " (٧) .

" فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة " (٨) .

وكلما سئل الرسول عن موعد قيامها كان رد القرآن أن هذا أمر قد استأثر الله بعلمه ،فلم يطلع عليه حتى ولا رسوله :

" يسألونك عن الساعة : أيان مرساها ؟ قل : انما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الا هو . ثقلت فى السماوات والأرض. لا تاتيكم الا بغتة . يسألونك كأنك حفى عنها . قل انما علمها عند الله " (٩) .

"يسألك الناسعن الساعة ، قل انما علمها عند الله ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا " (١٠) .

" وعنده علم الساعة ، واليه ترجعون " (١١) .

"يسألونك عن الساعة : أيان مرساها ؟ فيم أنت من ذكراها ؟ الى ربك منتهاها ، انما أنت منذر من يخشاها " (١٢) .

ومع ذلك فان فى بعضالأحاديث النبوية الشريفة كلاما عن علامات الساعة ، ومن بينها هذا الحديث الذى معنا الآن . والمتامل فى هذه الاحاديث لايجد أنها حددت ميعادا لقيام الساعة ، وانما هى علامات عامة . ويمكن أن تقع هذه العلامات أو بعضها ولايلتفت الناسالى أن هذه هى أمارات الساعة الا بعد فوات الأوان وقيامها فعلا . وقد تعددت النبوءات بميعاد قيام الساعة ، وثبت زيفها . وآخر مانعلمه من هذه المحاولات الفاشلة مازعمه رشاد خليفة فى أمريكا من أنه قد استطاع ، من خلال تعمقه فى فهم آيات قرآنية بعينها ، أن يحدد وقت قيام الساعة ، مع أن القرآن الذى يزعم أنه استعان بآياته فى هذا التحديد حاسم فى هذه المسألة حسما تاما كما سبق أن بينا .

ان بين يدى الساعة فتنا

هذا التعبير : " بين يدى كذا " معناه " أمامه " ٠ وهذا قد يكون كناية ، وقد يكون استعارة ٠ نقولنا : " جلست بين يدى فلان" كناية ٠ أما ماجاء فى الحديث الشريف من أن" بين يدى الساعة فتنا " فهو استعارة ، ذلك أن للانسان يدين ، والجلوس بين يديه يستلزم أن تجلس أمامه ٠ فهذه الكناية ٠ أما الساعة فليست انسانا له يدان ، ولكن شبهت بالانسان ، وجعل لها يدان ٠ وهذه هى الاستعارة ، أى اننا استعرنا لها من الانسان يدين ٠

وبعض الذين يحللون الصور الأدبية يقفون عند هذا الجانب الشكلى ولايعدونه الى ماتذوق مافى الصورة من جمال واشعاعات ايحائية ، فضلا عن أن يبصروا القارىء بهذه الأسرار الفنية الجمالية ٠ وهذا مثال على تلك الطريقة الشكلية ٠ قال الشيخ محمد على الصابونى فى تحليل هذه الصورة :

" فى قوله صلى الله عليه وسلم " (بين يدى الساعة) استعارة مكنية ٠ وطريق اجراء هذه الاستعارة أن نقول : شبه الساعة برجل ، وحذف المشبه به ، ورمز اليه بشىء من لوازمه ، وهو اليد ، على سبيل الاستعارة المكنية بجامع القرب بين كل منهما ، فاليد قريبة من الرجل ، والفتن قريبة من الساعة " ٠

لكن هذا هو الجانب الآلى فى تحليل الصورة ٠ ويستطيع أى دارس للبلاغة أن يؤديه من غير تفكير ولاتذوق ٠ والذى يريد أن يطلع على شىء من جمال الصورة وايحاءاتها الخفية عليه أن يتخيل ملكا قادما فى الطريق ، وقد أرسل قبله بقليل المنادين يعلنون عن مقدمه لتستعد رعيته لاستقباله بمايليق به من اجلال وتعظيم ٠ اذ لايليق أن يمر الملك فى أحياء المدينة وشوارعها كما يمر أى انسان من عرض الطريق ، بل لابد أن تنفخ له الأبواق احتفاء به واحتفالا وتنبيها وتهيئة للمشاعر والضمائر ٠ فالساعة ليست أمرا هينا يحدث كل يوم ، بل هى انتهاء الدنيا وانهدام الكون ، ونشوء نظام جديد وحياة أخرى هى الحياة الحقة ٠ والناس عند مجىء الساعة يكونون كالنيام حين يفيقون من سباتهم ويستيقظون من غفلتهم ويعودون الى وعيهم ٠ ولكن هذا لن يحدث الا بعد وقوع الساعة ، وبعد أن تكون فرصة التأهب والتجهز قد ولت الى غير رجعة ٠ فيالها من مفارقة ٠

وقد وردت فى هذه العبارة " فتن " (جمع " فتنة ") ٠ وصيغة الجمع من هذه الكلمة هى من السمات الفارقة بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب الحديث الشريف ، فعلى حين أنها لم ترد فى القرآن الا مفردة (رغم ورودها فيه ثلاثين مرة) نجد أنها قد وردت فى الحديث مفردة ومجموعة ٠ ويهمنا هنا صيغة الجمع ٠ وهذه شواهدها فيه :

" تكون فتن على أبوابها دعاة الى النار "(١٣) ٠

" ستكون فتن ، ثم تكون فتن ٠٠٠ فالماشى خير من الساعى اليها " (١٤) ٠

" ومنهن فتن كرياح الصيف " (١٥) ٠

" وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج " (١٦) ٠

" ثم تظهر الفتن ، ويكثر المال " (١٧) ٠

" ثم تقع الفتن كأنها الظلل " (١٨)٠

" عذابها فى الدنيا الفتن والزلزال والقتل " (١٩) ٠

" يكون فى هذه الأمة خمس فتن " (٢٠) ٠

" أعوذ بكلمات الله ٠٠٠ من شر فتن الليل " (٢١) ٠

" ... مضلات الفتن " (٢٢) .

" انى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم " (٢٣) .

" سبحان الله ! ماذا أنزل الليلة من الفتن ؟ " (٢٤) .

" أعوذ بالله من الفتن " (٢٥) .

" ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل " (٢٦) .

" السعيد من وقى الفتن " (٢٧) .

" اياكم والفتن ، فان اللسان فيها مثل وقع السيوف " (٢٨) .

فتنا كقطع الليل المظلم

هل الليل شيء مادى حتى يمكن تقطيعه قطعا ؟ ومع هذا فقد جعله الحديث كذلك . ان لليل وجودا اعتباريا ، اذ هو اختفاء ضوء الشمس بسبب دوران نصف الأرض الذى كان مواجها للشمس وابتعاده عنها . فكيف يمكن الامساك بمثل هذا الموجود الاعتبارى ، فضلا عن تقطيعه قطعا .

وقد شبهت الفتن بقطع الليل المظلم لأن الظلام أسود ، والسواد رمز على الهم والغم والحزن الممض العميق ، والفتن هى أساس المصائب ومنبع الآلام والهموم . وفوق ذلك ففى الفتن يسود التخبط ، وقلما يستطيع انسان أن يبصر طريقه . وهذا هو عين مايحدث فى الظلام .

وفى القرآن الكريم صورة قريبة من هذه الصورة . يقول تعالى فى وصف أصحاب النار يوم القيامة : " ترهقهم ذلة . مالهم من الله من عاصم . كأنما أغشيت وجوهم قطعا من الليل مظلما " (٢٩) .

ولكن النظر فى الصورتين من قريب يطلعنا على عده من الفروق الهامة بين الصورتين ، سواء فى سياق كل منهما أو فى تركيبه .

ان الصورة القرآنية تصف مايصيب أصحاب النار يوم القيامة من ذلة وخزى ورعب ، أما الصورة الحديثية فهى تصور التخبط والضلال والمصائب والهموم التى تسبق يوم القيامة والتى لن تفرق بين فريق من البشر وفريق . الصورة القرآنية محورها وجوه أصحاب النار، والصورة الحديثية محورها الفتن التى ستقع فى آخر الزمان . ثم ان المشبه به فى الصورة القرآنية هو حالة بأكملها . أما فى الحديث فالمشبه به قطع الليل المظلم . ومن ناحية التركيب نلاحظ أن الحديث قد أضاف كلمة " قطع " الى " الليل " ، الذى وصفه بكلمة " المظلم " . أما فى الصورة القرآنية فقد فك المتضايفان وأعيدا الى أصلهما وربط بينهما بحرف الجر " من " (" هكذا : قطعا من الليل ") ، علاوة على أن لفظة " مظلم" قد استخدمت حالا من " الليل " لاصفة له ، ومن ثم فقد جاءت منكرة ، على عكسها فى الصورة القرآنية ، اذ وردت فيها معرفة .

هذا ، وليس فى العبارة مايحتاج الى أن نقف أمامه من جهة النحو والاعراب وقفة خاصة ،اللهم الا قوله عليه السلام : " كقطع الليل المظلم " ، الذى قال عنه الشيخ الصابونى (سهوا فيما أقدر) انه " جملة " . والحقيقة أنه " شبه جملة " . وهو كما قال صفة لـ " فتنا "، الا أنه فى تعليله لاعرابه تلك العبارة هذا الاعراب عاد فقال ان الجمل بعد النكرات صفات (٣٠) ، أى أنه مصر على أنه جملة وليس شبه جملة..

يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا

" يصبح " و " يمسى " هنا فعلان ناقصان ناسخان ، أى يدخلان على المتبدا والخبر فيرفعان الأول وينصبان الثانى . والمعنى أن الرجل يأتى عليه الصباح وهو مؤمن ، ثم يأتى عليه المساء وهو كافر ، وهكذا ...

وينبغي أن أنبه هنا الى أن الشيخ الصابونى عندما استشهد بالقرآن والحديث على معنى " يصبح " و " يمسى " قد استشهد بقوله تعالى : " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون" (٣١) . ويقول النبى صلى الله عليه وسلم عن أبى ضمضم انه " رجل ممن كان قبلكم كان كلما اصبح أو أمسى قال : ... " مع أن الفعلين فى كل من هذين الشاهدين قد أتيا تامين ، أى لايحتاجان الى متبدا وخبر ، بل الى فاعل فحسب . وكان الأفضل أن يستشهد بأمثلة وردا فيها ناقصين ناسخين حتى يتناسب الاستشهاد مع الحديث الذى يشرحه ويعربه ، وحتى لا يتوهم بعض القراء أن الفعلين فى الشاهدين اللذين أوردهما هما فعلان ناقصان ويخطئون فى اعرابهما . واستطرادا نقول ان الفعل " أصبح " قد ورد فى القرآن ناقصا وتاما. أما " أمسى " فانه لم يرد الا تاما ، وفى موضع واحد من القرآن الكريم ، وهو قوله تعالى : " فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون "(٣٢) . وقد ورد معه ، كما هو واضح ، الفعل " أصبح : (فى صيغة المضارع أيضا) تاما هو كذلك . وهذا الفعل قد ورد فى القرآن (سواء فى صيغة الماضى أو المضارع أو اسم الفاعل) ثلاثا وثلاثين مرة : خمسا تاما ، احداها بصيغة المضارع ، وهى الشاهد الذى سلف لتوه ، وأربع بصيغة اسم الفاعل، وهاهى ذى نصوصها :

" وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين " (٣٣) .

" فأخذتهم الصيحة مصبحين " (٣٤) .

" وانكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل " (٣٥) .

" أقسموا ليصرمنها مصبحين " (٣٦) .

" فتنادوا مصبحين * : أن اغدوا على حرثكم" (٣٧) .

أما بقية المرات الثمانى والعشرين فقد ورد هذا الفعل ناقصا ناسخا ، وكان ذلك بصيغة المضارع فى ستة مواضع (٣٨)، والماضى فى الواحد والعشرين موضعا الباقية . ومن الأمثلة على هذا وذاك قوله تعالى :

" وأصبح فؤاد أم موسى فارغا " (٣٩) .

"فأصبح من النادمين " (٤٠) .

" وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون :وى ! كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر (٤١) بصيغة الماضى والخبر جملة) .

"ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا "(٤٢) (والفعل هنا بصيغة المضارع، والخبر مفرد . ولم يرد الخبر مع المضارع فى القرآن الا مفردا) .

وقوله : " يصبح ... مؤمنا ويمسى كافرا ... الخ " هو كناية عن شدة الاضطراب وسرعة الارتداد والانقلاب حتى ان الرجل ليغير عقيدته ويخرج من ايمانه فى سويعات قليلة من غير أن يتوقف أو يتردد فى مثل هذه المسألة الشديدة الخطورة ، ومن غير أن يفكر فى العواقب الجسام .

كذلك ففى المقابلة بين الجملة الأولى والثانية دلالة على الشمول والاستغراق ، أى أن الكفر يتم فى كل وقت ويقع من كل انسان • أى أنها بلبلة مابعدها بلبلة ، وفتنة رهيبة تعصف بالعقول والضمائر عصفا • وصدق رسول الله اذ شبه هذه الفتن بقطع الليل المظلم •

وقد لاحظت أنه يكثر فى الحديث النبوى الكريم ورود هذا التركيب الذى بين أيدينا ، وهو التركيب القائم على ايراد جملة ثم تكريرها مع قلب ترتيبها • وهذه بعض أمثلة على ذلك :

" اللهم لاقابض لمابسطت ، ولاباسط لما قبضت " (٤٣) •

" فناره جنة ، وجنته نار "(٤٤) •

" الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل "(٤٥) •

" اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت " (٤٦) •

" لافضل لعربى على أعجمى ولا لاعجمى على عربى ، ولا لاحمر على أسود ولا لاسود على أحمر " (٤٧) •

" فان اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل " (٤٨) •

" يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل " (٤٩) •

" ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال " (٥٠) •

" أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما " (٥١) •

" حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطاك لم يكن ليصيبك " (٥٢) •

" يصدق قلبه لسانه ، ولسانه قلبه " (٥٣) •

وهذا التركيب فى اصطلاح البلاغيين يسمى "العكس"، وهو لون من ألوان المحسنات البديعية• ومن الشواهد الحديثية التى أوردناها يتضح أن هذا الفن من التركيب لايدل على شيء واحد باطراد ، فهو فى بعضها يدل على الاستغراق والشمول ، وفى بعضها الآخر يدل على انعكاس الحكم بانعكاس الموقف ، وهكذا ••• وهو فى كل الحالات يشبه المرآة التى تعطينا صورة الأشياء ، ولكن معكوسة، فاليمين شمال والشمال يمين • أى أن الشيء الواحد يصبح كأنه شيئان (هذا من جهة) وفى نفس الوقت يكون هناك تعاكس، مما يذكرنا بمايحرص عليه الزخرفيون من تناظر وتقابل فيما يرسمون من أشكال زخرفية • والنفس الانسانية تلذ هذه الموسيقى السمعية والبصرية •

و " الكافر " اسم فاعل من " كفر " • وهذا الفعل يدل عادة على انكار وجود الله وتكذيب رسله • وهو يشمل الكافر ابتداء ، أى من لم يكن مؤمنا أولا ثم كفر ، كما يشمل المرتد ، الذى كان مؤمنا ثم خرج من الايمان ، وكذلك المنافق ، الذى يظهر الايمان مع ابطانه الكفر •ومن هنا فليس دقيقا تفسير " الكافر " بـ " المرتد عن الدين " (كما فعل بعض الباحثين) ، اذ ان هذا هو أحد المعانى التى للكلمة لاغير • ولو قال ان هذا هو معنى "الكافر " فى هذا الحديث لكان أصح وأدق ، وذلك حتى لايتوهم القارىء أن هذه الكلمة ليس لها الا هذا المعنى •

ومادة " كفر " تدل فى الأصل على الستر والاخفاء • والفعل فى هذه الحالة يكون متعديا • يقال: كفرت الشيء أكفره ، أى سترته وغطيته • ومن ذلك قولهم :" رماد مكفور " ، وهو الرماد الذى سفت الريح التراب عليه حتى غطته • وقد ورد الفعل متعديا فى قوله تعالى: " ومايفعلوا من خير فلن يكفروه " (٥٤) • وعلى أساس من هذا المعنى سمى " القبر " : " كفرا" ، لانه يستر مابداخله

ويخفيه . كما سمي بذلك ظلام الليل وسواده . و " الكافر " هو الليل المظلم ، لانه أخفى كل شيء وغطاه بظلمته . وهو أيضا الرجل الذى كفر درعه بثوب ، أى غطاه به اذ لبسه فوقه . كذلك يسمى " الزارع " : " كافرا " ، لانه يغطي البذور بالتراب . و " المتكفر " هو الداخل فى سلاحه ، وهكذا ...

ومن هنا رأيناهم يقولون ان "الكافر " قد سمي كذلك لانه يستر نعم الله عليه . والحق أن الكافر لايستر نعمة الله عليه فقط (والمقصود أنه يستر نسبتها اليه سبحانه ، لا أنه يستر النعمة فى حد ذاتها) بل يستر حقيقة وجوده سبحانه (يسترها على سبيل المحاولة طبعا ، لا أنه يقدر على ذلك فعلا ، فهو سبحانه موجود شاء الكافر أو لم يشا) . لكن الملاحظ أن المصدر بهذا المعنى يكون مضموم الفاء ، فنقول : " كفر " (بضم الكاف) . أما " الكفر " بمعناه الاصلى ، أى مجرد الاخفاء والتغطية فهو مفتوح الكاف . والفعل فى هذه الحالة يأخذ " باء " ، فيقال : " كفر بالله " . وهو من باب " نظر ينظر " أى مضموم عين المضارع (قارن بين ضم عينه هنا وكسرها حين يكون متعديا). وهناك صيغتان مصدريتان مشتركتان بين الفعلين ، هما " كفور " و " كفران ".

يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل

أى يبيع الباقى بالفانى : " ماعندكم ينفد، وماعند الله باق "، فـ " العرض " هو كل مالا دوام له ، ومن هنا يطلق على " حطام الدنيا " ، لأن الدنيا مهما طالت فمصيرها الى الفناء ٠ وهو عكس" الجوهر " ، وهذا التقابل بين " العرض" و " الجوهر " له مغزاه ٠

وقد نكره الرسول عليه الصلاة والسلام هنا للتهوين من شأنه فوق هوانه الأصلى ، ولم يكتف عليه السلام بذلك بل وصفه بـ " القلة "، فضاعف بذلك هوانه ثلاث مرات ٠

وهذه الكلمة وردت فى القرآن ست مرات : خمسا منها صريحة فى " عرض الدنيا " ٠ وهذه هى

" يبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة " (٥٥)٠

" يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون : سيغفر لنا ، وان يأتهم عرض مثله يأخذوه (٥٦) ٠

" تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة " (٥٧) ٠

" ليبتغوا عرض الحياة الدنيا " (٥٨) ٠

والملاحظ أنها فى هذا الحديث قد فكت اضافتها الى الدنيا ، وأتى بحرف الجر " من " بينهما ٠ أما فى القرآن فقد بقيت على اضافتها ٠ واقرب الآيات الى الحديث ، كما هو واضح ، هى قوله تعالى : " يأخذون عرض هذا الأدنى " (٥٩) ، فان ماهنا " أخذا " ، و" الأخذ " قريب من البيع المذكور فى الحديث ، لأن الذى يبيع شيئا يأخذ فى مقابله شيئا ٠ أما الآيات الأخرى فهى تتحدث عن مجرد الرغبة والارادة ٠ وهذه الآية قد استخدمت بدلا من" الدينا " عبارة " هذا الأدنى "، التى هى جديدة طازجة ، وتوحى بالتحقير الهائل ، وذلك عن طريق اسم الاشارة ، واستخدام صيغة أفعل التفضيل المذكرة التى لم تفقد حدتها فى الدلالة على الهوان والتفاهة : بخلاف كلمة " الدنيا " التى لكثرة استعمالها قلما يلتفت الذهن الى معناها الأصلى ٠

وقد استخدم الحديث كلمة " البيع " ٠ وهذه الكلمة لم ترد بمعنى مقايضة الدنيا بالآخرة أو العذاب بالمغفرة ٠٠٠ الخ فى القرآن الا فى موضع واحد : " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ٠٠٠ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به "(٦٠) ، اذ جرى القرآن على استخدام كلمة " الشراء " فى مثل هذا السياق ٠ وحتى فى هذه الآية فان ذكر الشراء قد جرى أولا ٠

وقد أعرب الشيخ الصابونى جملة " يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل " على أنها " تعليل لما سبقها ، فكأن سائلا يقول " لم يحدث ذلك ؟ فقال : يبيع دينه بعرض من الدنيا" (٦١) ٠ ويمكن اعرابها على أنها بدل من " يصبح " ٠٠٠ مؤمنا ويمسى كافرا ٠٠٠ الخ "، لأن معنى هذا هو معنى ذاك ٠ ويمكن أن تعرب اعرابات أخرى ٠

وهذا الحديث يصف حال البشر عند اقتراب يوم القيامة وكيف يسود الكفر ويفشو فيهم ٠ وهى مفارقة عجيبة ، اذ ان المنطقى أنه كلما اقترب الانسان من ميعاد الحساب والمؤاخذة أخذت الغاشية التى كانت تحجب عقله تنقشع ، وهب ضميره من رقدته ، ولكن الأمر هنا على العكس٠ ولعل ذلك راجع الى أن الانسان كلما وجد الزمن ينقضى ويولى دون أن تقوم القيامة وهم أنه لن تقوم لها قائمة ٠ ولعله راجع أيضا الى أن البشر يكونون قد ابتعدوا عن وقت نزول القرآن الكريم ودعوة الرسول الناس اليه بأزمان متطاولة ، فضعف فى نفوسهم بل تلاشى التأثير النبوى الشريف ٠

ولقد ذكر القرآن الكريم أنه سبحانه انما خلق الجن والانس ليعبدوه : " وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون " (٦٢) ٠ فاذا انتفى الايمان من القلوب واستعبدت الدنيا بمتاعها الفانى

الرخيص نفوس البشر لم يعد هناك معنى لاستمرار الحياة • وفى بعض كلام الرسول عليه الصلاة والسلام أن القيامة لن تقوم الا بعد أن يختفى الايمان من الارض •

الحديث الرابع

عن النعمان بن بشير ، رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :
" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم اعلاها واصاب بعضهم اسفلها ، فكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فآذوهم ، فقالوا . لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا ، وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا "

(من البخارى والترمذى)

مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل

هذا التركيب المكون من " مَثَل + مضاف اليه + واو عطف + معطوف على المطاف اليه + ك/مَثَل ..." لم يرد فى القرآن الكريم ، وانما أقرب شىء الى هذا التركيب هو : " مَثَل +مضاف اليه + ك/مَثَل ... ، " بلا حرف عطف ولا معطوف ، واليك مثالا آخر من الحديث على هذا التركيب ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : " انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير " (١).

حدود الله

" الحَدّ " فى اللغة هو الحاجز بين شيئين ، وحد الشىء: " منتهاه " ، والحد " أيضا " المنع " ، ويقال : " هذا أمر حَدَد " أى منيع حرام لايحل ارتكابه " ، وحد السيف " : شباته ، و " حَدَدْت الرجل " : أقمت عليه الحد ، لأنه يمنعه من معاودة ماعوقب عليه .

ومن هنا جاء " الحَدّ " بمعنى " التعريف " لأنك بتعريفك للشىء ، تضع له حدودا تمنعه أن يختلط بغيره أو يختلط غيره به ، وتمنع كذلك الباحث أن يخلط بينه وبين غيره .

ومن هنا أيضا جاءت " حدود الله " أى النهايات التى يجب على المسلم أن يراعيها ويحرم عليه أن يتجاوزها ، لأنها فاصلة بين مايجوز ومالايجوز ، ثم تطورت اللفظة فاصبحت لاتعنى النهايات التى تجب مراعاتها ويحرم تخطيها ، بل شملت أيضا العقوبات التى توقع على من يتجاوز هذه النهايات ، وينبغى كذلك ألا ننسى أن " حد السيف " هو كما قلنا " شباته " و " الشباة " تقطع من يصطدم بها ، وكذلك " حدود الله " تقطع من يخالفها ويصادمها .

القائم على حدود الله

" قام " ضد " قعد ، وكذلك هى ضد " النوم " ، اذ يقال : " قام من نومه " ، وفى قوله تعالى : " ذلك من أبناء القرى نقصه عليك : منها قائم وحصيد " نجد أن " القيام" ضد " الانهدام " ، وهو مايوجد أيضا فى قوله عز وجل : " فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه" (٢) ، وقوله : " ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله " (٣) ، و " القيام ، ضد " الميل

والاعوجاج " أيضا . ومن ثم نقول: " أقام فلان الاعوجاج " و " قومه " أى " عدله .

مما مر يتبين لنا أن " القيام " دليل السلامة والنشاط واليقظة . و " القائم على حدود الله " اذن هو المسلم اليقظ السهران المحافظ على هذه الحدود : لايقع فيها بنفسه ، ولايترك غيره يقع فيها .

وهذا التعبير لم يرد فى القرآن الكريم ، بل الذى ورد فيه هو " اقامة حدود الله وليس" القيام على حدود الله " . قال تعالى :

" الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله " (٤) .

" فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليها فيما افتدت به " (٥) .

" فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله " (٦) .

أما فى الحديث فقد وجدت ، الى جانب الشاهد الذى بين أيدينا ، هذ الشاهد الآخر ، وان كان المقوم عليه فيه هو " أمر الله " لا " حدود الله " . ولكن المعنى واحد . ونص الشاهد هو : " ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله " (٧) .

الواقع فيها

" الوقوع " فى أصل معناه دليل الخطأ . فالماشى الذى لايحسن المشى قد يخطىء فيقع . وقد يخطىء الانسان فيضع قدمه على حجر أو قشرة موز مثلا أو موضع من الأرض زلق فيقع ، أو يخطىء فلاينتبه للحفرة فيقع فيها ... وهكذا .

وقد صور الرسول عليه الصلاة والسلام الحدود المنهى عنها فى صورة الحفرة أو البئر التى يقع فيها الانسان فيكون فيها هلاكه .

ويتعدى فعل " الوقوع " بحرف الجر " فى " فى قولهم : " وقع فلان فى فلان " أى اغتابه ، وهو من الأخطاء غير الهينة فى الدين وعند ذوى المروءات والخلق الكريم العالى ، وكذلك فى قولهم : " وقع فى حفرة أو شرك " و " وقع فى خطأ " . وهذه من التعبيرات المألوفة . وهناك تعبيرات أخرى ليست فى ألفة هذه التعبيرات يصحب فيها أيضا حرف الجر " فى " الفعل " وقع ". من ذلك قولهم : " وقع فى أرض فلاة " : صار بها ، و " وقع فى العمل " : أخذ (أى مضى) فيه ، و " وقع فى عمله " : أصاب الرفق فيه ، و " وقع الكلام فى نفسه " : أثر فيه .

والملاحظ أن حرف الجر " فى " لم يصحب " الوقوع " فى القرآن الكريم قط ، وانما صحبه " الباء " فى بعض المواضع ، و " على " فى بعض المواضع الأخرى ، الى جانب وروده متجردا عن أى حرف جر فى مجموعة ثالثة من الآيات . **وهذه الشواهد هى :**

١- " ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله " (٨) .

" قال : قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب " (٩) .

" ووقع القول عليهم بماظلموا فهم لاينطقون " (١٠) .

٢- " واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم " (١١) .

" ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم " (١٢) .

٣- " فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون " (١٣) .

" أثم اذا ماوقع آمنتم به ؟ " (١٤) .

" انما توعدن لواقع " (١٥) .

أما فى الأحاديث النبوية الكريمة فقد وجدت الشواهد التالية :

" فلايقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر " (١٦) .

" لو وقعا فيها لدخلا النار جميعا "(١٧) .

" ومن وقع فى المشبهات / الشبهات ... " (١٨) .

" لقد وقعوا فى أمر عظيم " (١٩) .

" لئلا يقع فى نفسه شيء من الكبر " (٢٠) .

ليس هذا فقط ، بل ان حرف الجر " على " قد صحب الفعل " وقع " ، ولكن فى معنى لم يرد فى القرآن الكريم قط ، وهو معنى " الجماع " . وهذه بعض الشواهد التى وجدتها :

" من وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوه " (٢١) .

" بلغنى أنك وقعت على جارية بنى فلان " (٢٢) .

" لايقع على حامل حتى تضع " (٢٣) .

ومادام حرف الجر " فى " لم يصحب الفعل " وقع " ولا مشتقاته فى القرآن الكريم فمعنى ذلك أن التعبير عن انتهاك حدود الله بـ " الوقوع فيها " لم يرد فيه . وهذا صحيح ، وانما الذى ورد فيه تعبيرا عن هذا المعنى هو " تعدى حدود الله " أو " اعتداؤها " قال تعالى :

" ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون " (٢٤) .

" ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه " (٢٥) .

" ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها " (٢٦) .

" تلك حدود الله فلاتعتدوها " (٢٧) .

كمثل قوم استهموا على سفينة

الجار والمجرور هنا (وهما " كَمَثَلِ ... ") خبر " مَثَلُ (القائم على حدود الله ...)" .

و " المثل " هنا معناه " الصفة " أو " الحال " . أما قول بعض المفسرين ان معنى " المثل " هو " الشبه " فليس صحيحا . وانما الذى يعنى " الشبه " هو لفظ " مِثْل" (بكسر فسكون) ، اذ لايعقل أن يكون معنى الكلام هنا وفى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المشابهة هو : " شبه القائم على حدود الله ... كشبه قوم استهموا على سفينة ... " . ان معنى المشابهة قد أتى من " الكاف " فى " كمثل " وليس من " مَثَل... كَمَثَل " كلها .

ولابد من الاشارة هنا الى أن الفعل " استهم " (بصيغة " افتعل ") لم يأت فى القرآن الكريم ، (بل لم يأت فيه من مادة " س هـ م " الا " ساهم " ، وذلك فى قوله تعالى عن يونس عليه السلام : " فساهم فكان من المدحضين " (٢٨) .وحتى هذا الفعل لم يرد فيه الا فى هذا الموضع فقط)

. أما فى الحديث النبوى الشريف فقد قابلتنى هذه الشواهد :

" ولو يعلمون مافى الصف المقدم لاستهموا " (٢٩) .

" ... أن يستهما على اليمين ... " (٣٠) .

" ... ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا " (٣١) .

" ... فليستهما عليها " (٣٢) .

" ... ثم استهما ثم تحالا " (٣٣) .

وبعد ذلك فاني لم أقرأ بل لم أسمع أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ركب السفينة يوما ، فضلا عن أن يكون ذلك في رحلة بحرية طويلة في مثل هذا النوع من السفن ، وعلى مدى زمن يحتاج معه المسافر الى الماء هذا الاحتياج المتكرر والملح . ومع هذا فانه عليه السلام قد أحسن غاية الاحسان في وصف الموقف كأنه جربه كثيرا حتى انطبع في ذهنه وقلبه بحيث انبجس على لسانه في هذا الحديث انبجاسا طبيعيا لتصوير هذه الحالة الاجتماعية التي نحن بصدد دراستها .

أصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها

" أصاب " هنا معناها " كان من نصيبه " أو " حصل على " ، وهو معنى لم يرد لهذا الفعل في القرآن الكريم ، رغم تكرر وروده في الحديث ، مثل :

" ... بما أصاب من أجر " (٣٤) .

" ... فقد أصاب خيرا " (٣٥) .

" ... من أصابه بحقه بورك له فيه " (٣٦) .

" وان أصبحت أصبت أجرا " (٣٧) .

" فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها ... " (٣٨) .

" ... من أين أصاب المال " (٣٩) .

واستطرادا نذكر هنا أيضا أن الفعل " أصاب " قد أتى في الأحاديث النبوية بمعنى آخر لم يستعمل له في القرآن الكريم ، وهو " الوطء " . واليك الشواهد التي صادفتها في هذا المعنى :

" اذا أصاب أحدكم المرأة ... "(٤٠) .

" فالمهر لها بما أصاب منها " (٤١) .

" اذا أصابها في الدم فدينار ، واذا أصابها في ... " (٤٢) .

" قال : حلوا وأصيبوا النساء (٤٣) .

مروا على من فوقهم

الفعل " مَرّ " (بمعنى " جاز وذهب ") يأتي متعديا ولازما ، وفي حالة لزومه فانه يتعدى اما بـ " الباء " واما بـ " على " . يقال : " مَرَّهُ / مرَّ به / مرَّ عليه " ، بمعنى" اجتازه " . والمصدر " مَرٌّ " و " مُرُور " و " مَمَرّ " ، واسم المره منه هو " مرة " ، وهي الكلمة التي أصبحت مصطلحا لهذا النوع من المصادر . وجمع " مرة " : " مَرٌّ " و" مِرار " و " مُرور " و " مرات " .

وقد أتى هذا الفعل في القرآن بـ " على " ، وبـ " الباء " . قال تعالى :

١- " أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها " (٤٤) .

" ويصنع الفلك ، وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه " (٤٥) .

" وانكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل " (٤٦) .

" وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون " (٤٧) .

٢- " والذين لايشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما " (٤٨).

" واذا مروا بهم يتغامزون " (٤٩) .

وبالنسبة لمجيء هذا الفعل متعديا من غير حرف جر نسوق هذا الشاهد لجرير :

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكمو على اذن حرام

وكذلك الشاهد التالى ، وهو لعمر بن أبى ربيعة :

غضبت ان نظرت نحو نساء ليس يعرفننى مررن الطريق

وان كان النحويون يقولون ان معمول " مر " هنا منصوب على نزع الخافض (٥٠) .

فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا :

سبق فى هذه الدراسات أن نبهت على خطأ من قال ان مفعول القول لايكون الا جملة . وأكرر ذلك هنا ثانية ، فان الذى قال هذا (وهو الشيخ محمد على الصابونى) انما قاله وهو بصدد اعراب هذا الحديث الذى نحن فيه الآن . وما أكثر ماتشيع مقولات نرددها من غير تمحيص. والواجب أن نراجع أنفسنا بين الحين والآخر ، وأن ننظر الى ما ألفناه بعيون جديدة . ولسوف نجد فى كثير من الأحيان أن ما نظنه هو الصواب ليس كذلك .

ومادمنا بصدد الكلام عن النحو فاننا نتساءل : كيف نعرب كلمة " خرقا " هنا ؟

لقد أعربها الأستاذ الصابونى مفعولا مطلقا ، جريا على ظاهر الكلام . بيد أن المفعول المطلق فى مثل هذه الحالة يكون للتأكيد ، أى أننا لو حذفناه لمافاتنا شيء الا التأكيد ، أى أن المعنى فى ذاته يكون تاما ، فهل لو حذفنا هذه الكلمة وقلنا : " لو خرقنا فى نصيبا " يكون الكلام قد تم ؟ لا اظن . ذلك أن " خرق " فعل متعد وليست لازما ، أى أنها تحتاج الى مفعول به . فضلا عن أن معناها هنا هو " أحدثنا " ، أى أنه ليس المقصود أنهم خرقوا والسلام ، بل صنعوا خرقا ليستخدموه فى شيء معين .

وفى القرآن الكريم : " حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها "(٥١) . والملاحظ أن ثمة فروقا بين العبارتين ، فخارق السفينة فى القرآن أراد أن يعيبها ، ولذلك أحدث فيها خرقا مجرد خرق ، ولم يذكر القرآن موضع الخرق . أما فى الحديث فقد ذكر أنه فى أسفل السفينة ، فى نصيب الركاب الذين فى قاعها . وأيضا فان المفعول به فى العبارة القرآنية هو " السفينة " بوجه عام ، أما فى الحديث فهو كلمة " خرقا " ، ومن هنا كان معنى الفعل " خرق " فى الآية هو " ثقب / خرم " ، وفى الحديث : " أحدث / صنع " .

وجملة " ولم تؤذ من فوقنا " هى اشارة الى السبب الذى حدا بهم الى أن يفكروا فى احداث الخرق فى المكان الذى يشغلونه من قاع السفينة . وهو كما ترى سبب يدل على أن النوايا الطيبة كثيرا ما تؤدى الى الكوارث اذا لم يدعمها عقل واع بمايفعل . ومن هنا فينبغى ألا يسارع الانسان دائما الى الاستجابة لنواياه اذا بدت له طيبة ، بل عليه أن يدرس الأمر جيدا ويقلبه على جميع وجوهه ، فربما كانت هناك جوانب فيه اذا اتضحت له أقلع عن تنفيذ ما عزم عليه . ويمكننا الاستئناس هنا بمافعله الرسول عليه السلام مثلا مع السائل الذى جاءه مادا يده ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ، وهو الكريم الأريحى ، لم يبادر باعطائه صدقة ، بل طلب منه أن يبيع شيئا يملكه ويشترى به

حبلا وقدوما ، ويذهب فيحتطب ، ثم يبيع مايحتطبه ، وبذلك يستغنى عن مد يده للآخرين • ذلك أنه عليه الصلاة والسلام قد رأى أن حل مشكلة ذلك الرجل عن طريق الصدقة ، وهو قادر على الكسب سوف يعوده على الكسل والمذلة ويفقده حس الكرامة ، وفوق ذلك سيحرم المجتمع من جهده وناتج عمله ، ويجعله بدلا من ذلك عالة على غيره • أى أنه بدلا من أن يزيد الانتاج ينقصه ، وبدلا من أن يشارك فى حمل العبء الاقتصادى للمجتمع يكون هو ذاته عبئا جديدا •

وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن النوايا الطيبة ، اذا كانت ستؤدى الى ضرر عام ، فينبغى الا نتردد فى مواجهتها بكل حزم وحسم ، حتى لو أدى الأمر الى معاقبة أصحابها • ذلك أن التساهل مع أمثال هؤلاء ، رغم طيبة نواياهم ، مفض حتما الى الكارثة والبوار • ومصلحة المجتمع فوق مصالح الأفراد اذا اصطدمتا ، وبخاصة اذا كانوا أفرادا سذجا حمقى لايقدرون العواقب ولايفكرون فيما يصنعون •

وربما كان قول خارقى السفينة " ولم نؤذ من فوقنا " انما هو واجهة يضعونها أمام أعين الآخرين الذين لايوافقونهم على ما يصنعون ، كى يستدرجوهم الى مشاركتهم فيما يريدون ، أو على الأقل يسكتوا عنهم ويدعوهم ومانووا • وأحر بأفراد المجتمع وبالسلطة القضائية والتنفيذية فى هذه الحالة أن يكون موقفهم منهم أكثر حزما وحسما ، وعقابهم لهم أصرم وأشد تنكيلا • وما أكثر اللافتات البراقة والشعارات الطنانة المزيفة التى يرفعها من يبغون الفساد فى الأرض لتضليل الناس من حولهم ! ذلك أن المفسدين لايتورعون عن اللجوء الى أقدس المعانى وأطهر القيم ليسوغوا بها انحرافهم وضلالهم وما يريدون أن يوقعوه بالمجتمع من مصائب وكوارث • ومن قبل وسوس ابليس لآدم وحواء أن ياكلا من الشجرة المحرمة قائلا لهما : " مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين " (٥٢) • فلما استجابا له وأكلا كانت النتيجة أن هبطا الى الأرض حيث الكبد والآلام والموت لا الخلود ! ولم يكتف ابليس بالكلام العادى ، بل أكد اغراءه لهما بالقسم : " وقاسمهما : انى لكما لمن الناصحين " (٥٣) • وليس الأبالسة ابليسا واحدا ، بل هم كثر !

ان تركوهم ومااردوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا

" أخذ على يده" أى "منعه من فعل مايريد ، بالقوة "٠

وهذا التعبير لم يأت فى أى موضع من القرآن ٠ وقد وجدت له فى السنة غير الشاهدالذى فى هذا الحديث ، شاهدا آخر هو "اذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه٠٠٠" (٥٤)٠ وتأمل كيف أن الحديثين قد سويا بين "الظالم" و" أولئك الذين أرادوا أن يسوغوا خرق السفينة بأنهم لايحبون أن يؤذوا من فوقهم " بأمر الأمة" أن تأخذ على أيديهم "٠ وفى هذا من المغزى مافيه ، اذ المقصود هو الحسم مع هؤلاء وأولئك ، بغض النظر عن النوايا ، اذ ان الكارثة لن تتخلف فى حالة صلاح النية ، بل هى واقعة واقعة فى الحالتين ٠

كما أن الحديث يرشدنا الى أن المجتمع اذا ترك أمثال خارقى السفينة فان العواقب الوخيمة لن تتركه ، بل سيكون مصيره الهلاك المحقق ٠ فعلى أفراده اذن الا يتهاونوا مع أمثال أولئك ، لأنها مسألة حياة أو موت بالنسبة لهم ٠ان هؤلاء المفسدين لو كانوا سيضرون أنفسهم والسلام لهان الامر ، لكنهم سيهلكون معهم المجتمع كله٠ وليس هناك عاقل يرضى ان يضيع ويضيع معه أولاده وأصدقاؤه وأعزاؤه وجهده وعرقه وعرق المجتمع كله بهذه البساطة وهو واقف يتفرج ٠

والحديث كله قائم على المقابلات : فـ " القائم على حدود الله " يقابله " الواقع فيها "، وإعلاها" تقابلها " أسفلها " ، و" الذين فى أسفلها " يقابلهم " من فوقهم "، و" خرقنا فى نصيبنا خرقا " تقابلها " نؤذى من فوقنا " ، و" تركوهم " تقابلها " أخذوا على أيديهم " ، و" هلكوا جميعا " تقابلها " نجوا ونجوا جميعا " ٠ وهذه التقابلات هي نوع من التوازن يتمشى مع مايتحدث عنه الديث من تقابل بين من يلتزمون بحدود الله وبين من ينتهكونها ، وكذلك تتمشى مع نهاية الحديث المفتوحة ، فان الرسول عليه الصلاة والسلام قد ترك الأمر بين يدى ركاب سطح السفينة : ان شاءوا حسموا المسألة ، وأخذوا على أيدى الخارقين ، وان شاءوا تركوهم فغرقت السفينة وهلك كل ركابها ٠ فالتقابل اذن ماض من أول الحديث الى آخره ، فى العبارات وفى المواقف ٠وترك نهاية القصة مفتوحة له مغزاه ، اذ انه عليه الصلاة والسلام يشير الى أن على أفراد المجتمع أن يضطلعوا بمسئوليتهم فى الحفاظ على بناء مجتمعهم ، وأنهم أحرار فى ذلك ، فهم ومايختارون ٠ وأيا ما يكن الموقف الذى يتخذونه فسوف يجنون هم عاقبته٠ فان أهملوا فلايلومن الا انفسهم ٠

والآن وبعد أن فرغنا من دراسة هذه الأحاديث الأربعة أود أن أشير الى بعض الفروق الأسلوبية بين القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه السلام ، فالمعروف أن القرآن قائم على نظام الآيات والفواصل ، وهو مالايعرفه الحديث النبوى ، الذى لايعرف السجع الا لماما ٠ وحتى فى هذا السجع فانه يخلو مما نجده فى الآيات القرآنية من انتهائها فى كثير جدا من الحالات بعبارات يألفها قارىء القرآن ، من مثل " والله خبير بما تعملون " و " كان الله عليما حكيما " و " ان الله سميع بصير " و "الى الله ترجع الامور " و " ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " وماأشبه ٠

وعلاوة على هذا فان في الحديث النبوى فواصل لم ترد فى القرآن الكريم مثل فاصلة الميم التي تسبقها ألف ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم " تقرىء السلام ، وتطعم الطعام ، وتقوم الليل والناس نيام " ، والكاف التى تسبقها ياء ساكنة ، كما فى هذا الدعاء النبوى : " اللهم أسلمت نفسى

اليك، ووجهت وجهى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رغبة ورهبةاليك ، لاملجأ ولامنجى منك الا اليك " ، والتاء التى تسبقها لام ساكنة ، كما في بقية هذا الدعاء : " آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت " ، والدال التى يسبقها حرف ساكن وتليها هاء ، مثل : " يضرب عبده ، ويأكل وحده ، ويمنع رفده " و " لااله الا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده " ، والباء التى تسبقها راء مفتوحة ، كما في : " ويل للعرب ، من شر قد اقترب " ، واللام المشددة مثل قوله عليه السلام : " اللهم انى أعوذ بك من أن أضل أو أضل ، أو أذل أو اذل "، والتاء المسبوقة بألف ، مثل " ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعا وهات ، ووأد البنات " ... وهكذا .

الحديث الخامس

عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير • فحامل المسك اما ان يحذيك ، واما ان تبتاع منه ،واما ان تجد منه ريحا طيبة • ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك ، واما ان تجد منه ريحا منتنة "

(من صحيحى البخارى ومسلم)

انما مثل الـ ••• و ••• كـ •••

سبق أن أشرت في دراستي للحديث السابق الى أن هذا التركيب المكون من " مَثَل + مضاف اليه + واو عطف + معطوف على المضاف اليه + ك / مَثَل ••• " لم يرد فى القرآن الكريم ، وأن أقرب شيء فيه الى ذلك هو التركيب التالي : " مثل + مضاف اليه + ك / مَثَل ••• " • وقد زاد التركيب فى الحديث الذى بين أيدينا بعدا عن التركيب القرآنى أن المشبه به هو أيضا اسمان معطوف احدهما على الآخر •

كما أشرنا فى الدراسة نفسها الى أن كلمة " مَثَل " هناك معناها " حال " أو " صفة " ، وهو نفس معناها هنا • أما الشيخ محمد على الصابونى فقد فسرها بـ " الشأن العجيب والأمر الغريب " (١) ، مع أنه ليس فى الأمر غرابة • وكذلك ليس فيه غموض يحتاج الى توضيح ولابعد يحتاج الى تقريب ، كما قال (٢) • انما المقصود بالتشبية هنا هو ابراز الخير الذى يعود على جليس الانسان الصالح ، والأذى الذى يصيب مجالس الانسان الشرير ، فى صورة مادية محسوسة ليكون اقتناع السامع أقوى ، وعلوق الصورة بنفسه وخياله أشد ، ولعلها أعمق وأعنف تأثيرا • ثم انه لا أحد يشاح في أن مجالسة بائع المسك واسترواح عطوره الزكية هو أمر محبوب ومبهج ويبعث على الراحة والرضا واسترخاء الأعصاب ، ولانى أن كير الحداد لابد أن يتطاير منه حين نفخه جمر النار وشررها الذى قد يحرق ثياب الجالسين حوله بل جلودهم ، ويهب منه الدخان الخانق المزعج للأعين والأنوف والحلوق ، فلجأ الرسول عليه الصلاة والسلام الى هذا الذى يسلم به كل فرد ليكون اقتناع السامعين بكلامه صلى الله عليه وسلم أسرع وأقوى •

الجليس

" الجليس" هي " فعيل " بمعنى " مفعول " ، وهو الشخص الذى تجلس اليه أو تجالسه • ويقال أيضا " جِلْس" (بكسر فسكون) • وهى فى هذا مثل " خِدْن " و " خَدين " • وليس شرطا أن يكون " الجليس" صديقا أو صاحبا ، بل هو (كما سلف القول) الشخص الذى يجلس اليه الانسان ، فالرجل الصالح يرتاح اليه من حوله وينعمون بمجرد مجالسته حتى لو لم يكن لهم صديقا • ونفس الشيء يقال عن الشخص السيء •

وكلمة " الجليس" ، رغم تكرر ورودها فى أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، لم ترد فى القرآن الكريم البته ، بل ليس فيه من مشتقات مادة " ج ل س " الا كلمة " المجالس" ، التى ورد ذكرها فيه مرة واحدة لاغير ، وذلك فى قوله تعالى : " اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا

يفسح الله لكم " (٣) . وهذه هى بعض الشواهد الحديثية على استعمال كلمة " جليس" :
" فينظر الى وجه جليسه الذى يعرفه فيعرفه " (٤) .
" اللهم يسر لى جليسا صالحا " (٥) .
" تلك أيام الهرج حيث لايأمن الرجل جليسه " (٦) .
" لينظر امرؤ من جليسه " (٧) .
" هم الجلساء لايشقى بهم جليسهم " (٨) .

الجليس الصالح

لم ترد فى القرآن كلمة " الصالح " (مفردة بالألف واللام) نعتا لأحد من البشر ، بل لم ترد نعتا أصلا الا مرة واحدة ، وذلك فى قوله تعالى " اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه " (٩). أما فى الحديث النبوى فهاهى ذى بعض الشواهد عليها :

" ... الرجل الصالح " (١٠) .
" ... العبد الصالح " (١١).
" فان الكرم الرجل المسلم الصالح " (١٢) .
"-نعم المال الصالح للمرء الصالح " (١٣) .
" ... والولد الصالح يتوفى فيحتسبه والده " (١٤) .
" مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح والأخ الصالح " (١٥) .
" ... القرية الصالحة " (١٦) .
" لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره " (١٧) .
" وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة " (١٨) .

هذا ، وقد أطلق الحديث " الصلاح " اطلاقا ، ومن ثم فهو يشمل كل أنواع الصلاح : فالرجل العالم الذى يفيض علمه على الآخرين هو جليس صالح ، والرجل المتدين الذى يخشى ربه وينأى عن مواطن الاثم والشبهات هو جليس صالح ، والرجل الذى يعرف أصول اللياقة فلا تخرج من فيه كلمة نابية أو يتصرف تصرفا غليظا يؤذى المشاعر أو يصادم العرف السليم هو جليس صالح ، وصاحب الذوق المرهف والحساسية الراقية هو جليس صالح ، وذو الخلق القويم هو جليس صالح ينتفع بمجالسته جلساؤه ويستفيدون منه ، وقد يقلدونه . وهو على الأقل لن يصيبهم منه أذى . ومن المؤكد أنه سوف يترك فى نفوسهم أثرا ما ، وربما لايظهر هذا الأثر من قريب ، ولكنه سيكون قد استكن فى ركن ما من أركان نفوسهم . وهكذا الأمر مع سائر الجلساء الصالحين .

و " صالح " اسم فاعل من " صَلَحَ " (من باب " قعد يقعد ") ، وان كان بعضهم قد حكاها بضم اللام أيضا (هكذا : " صَلُحَ ") . والمصدر منه هو" الصلاح " . وهناك " الصلاحية " أيضا . وأقل صيغ المصدر من هذا الفعل شيوعا هى " الصُّلوح " (مثل " دخل يدخل دخولا " و" قعد يقعد قعودا " و " خرج يخرج خروجا " ... الخ) .

انما

أداة قصر • ولكن ليس المقصود أن حال الجليس الصالح وجليس السوء لايشبه الا حال حامل المسك ونافخ الكير ، ولاشك أنه يمكن تشبيه حاليهما بغير حالى حامل المسك ونافخ الكير ، بل المقصود فيما أحسب هو أن هذا التشبيه هو أدق ما يبرز حاليهما ، وأقوى مايقنع السامع بفائدة صحبة الأول وضرر صحبة الثانى ، مع اغرائه بتلك وتنفيره من هذه • ولما كان هذا التشبيه هو أدق التشبيهات عومل كأنه التشبيه الوحيد الذى لايوجد غيره لتصوير الأمر ، أى أنه ليس قصرا حرفيا بل قصر مجازى •

و" انما " مكونة من "ان " التى تنصب الاسم وترفع الخبر ، و "ما" التى تكف " ان" عن العمل • ولذلك فقد أتى اسمها بعدها مرفوعا وخبرها هو " كحامل المسك • • • " •

حامل المسك

هو بائع المسك الذى يحمله ويطوف به على الشارين ، وليس المقصود مجرد من يحمل المسك ، والا لما قال الرسول عليه السلام : " واما أن تبتاع منه " •

وبالمناسبة ، فعلى رغم ورود مشتقات " ح م ل " فى القرآن الكريم أربعا وستين مرة فلم يرد فيه اسم الفاعل منها موصوفا به أحد من البشر • أما الحديث النبوى الكريم فقد وجدت هذه الصيغة تكررت فيه بهذا المعنى • وهذه الشواهد عليها :

" أنا حامل لواء الحمد " (١٩) •

" ورب حامل فقه ليس بفقيه " (٢٠) •

" • • • ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن " (٢١) •

" • • • وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه " (٢٢) •

" حملة العرش" (٢٣) •

" حملة القرآن " (٢٤) •

" ان من ذهاب العلم أن يذهب حملته " (٢٥) •

وحتى " الحامل " بمعنى " الحبلى " لم تأت فى القرآن الكريم رغم تكرر الاشارة اليها فيه ، بل يستخدم لها تسمية من كلمتين : " ذات حمل / أولات الاحمال " :

" تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها " (٢٦) •

" وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن " (٢٧) •

" وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن " (٢٨) •

أما الحديث فقد استعمل لها كلمة " الحامل " كثيرا (٢٩) •

فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة

هذا التركيب (مبتدأ + اما + • • •) لم يرد فى القرآن الكريم ، علاوة على أن " اما أن " لم يقع بعدها فى القرآن فعل مسند (لاسم ظاهر أو) لضمير غائب كما فى الحديث ، وانما الذى يقع بعدها هو فعل مسند لضمير المتكلمين أو المخاطب ، وذلك فى قوله تعالى :

" قالوا ياموسى ، اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين " (٣٠) •

" قلنا : ياذا القرنين ، إما أن تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا " (٣١) •

" قالوا : ياموسى ، اما أن تلقى واما ان نكون أول من القى " (٣٢) ٠
كذلك فان "اما" لم تكرر فى أى من العبارات القرآنية ثلاث مرات كما هى الحال هنا ٠
والآن كيف يتأتى لنا أن نعرب عبارة " أن يحذيك ٠٠٠ " خبرا لـ " حامل المسك " ؟ ان " أن + الفعل " هما مصدر مؤول بالصريح ، فهل يمكن أن نقول : "فحامل المسك اما احذاؤه لك ٠٠٠ الخ " ؟ هذه هى القضية ٠ أتكون " أن " هنا قد وردت للتاكيد ، ويكون المعنى: " فحامل المسك اما يحذينك واما تبتاعن منه واما تجدن منه ريحا طيبة " ؟ يبدو لى أن الأمر كذلك ٠
ونفس الكلام يقال عن العبارة التالية : " ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك ٠٠٠ الخ " ٠

و "يُحْذى " مضارع " أَحْذَى " بمعنى " أعطى " ٠ و " حذاه" أيضا تعنى " أعطاه " ٠ فالفعل المجرد الثلاثى ومزيده لهما نفس المعنى هنا ٠ ومصدر " حذا يحذو " هو " حَذْو" و " حِذَاء " أما مصدر " أحذى " فهو قياسى : " إِحْذاء " ٠

وبالنسبة للفعل المضارع " تبتاع " ، الذى ورد فى الحديث الذى نحن بصدده وفى أحاديث أخرى ، فقد لاحظت أنه لم يأت فى أى موضع من القرآن رغم ورود مشتقاته فيه خمس عشرة مرة ٠ وهاهى ذى أمثلة أخرى لاستعمال هذا الفعل فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم :
" اذا ابتاع المكاتبان ٠٠٠ فالبيع للأول " (٣٣) ٠
" من ابتاع طعاما فلايبعه حتى يكتاله " (٣٤) ٠
" اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا : لا أربح الله تجارتك " (٣٥) ٠
" فمن ابتاعها بعد فانه بخير النظرين " (٣٦) ٠
" ثم أنت فى كل سلعة ابتعتها بالخيار " (٣٧)٠
" فلايبتاعن ذهبا بذهب " (٣٨) ٠
" ٠٠٠ فمبتاع نفسه فمعتقها " (٣٩) ٠
و"ابتاع " معناها "اشترى " ومجرد هذا الفعل (وهو " باع ") هو فى الأصل من الأضداد ، أى من الكلمات التى تدل على الشىء ونقيضه ، فتقول : " باع محمد عليا ثوبا " ، سواء كان محمد هو المشترى أو العكس ٠ ومثله مجرد " اشترى " (وهو " شرى ") ٠ومع ذلك فقد استقر العرف اللغوى الآن فيما يبدو على استخدام " باع " للتاجر ، و " شرى " لمن يدفع الثمن ويأخذ السلعة ، أى المشترى ٠

و " الريح الطيبة " هنا هى الرائحة الزكية ، رائحة العطور التى يحملها تاجر المسك ٠ وقد وردت عبارة " ريح طيبة " فى القرآن ، لكن لابهذا المعنى ، بل بمعنى الهواء الذى يهب ويملأ أشرعة الفلك فيدفعها الى حيث يريد ربانها ٠ قال تعالى : " حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ٠٠٠ " (٤٠) ٠ وليس معنى هذا أن " الريح " لم ترد فى القرآن بمعنى " الرائحة " ؛ فقد ورد فى سورة " يوسف " (٤١) قوله تعالى على لسان يعقوب عليه وعلى ابنه السلام : " انى لأجد ريح يوسف " ، وذلك عندما كان قميص يوسف فى طريقه اليه بعد أعوام طوال من غيبة الابن الحبيب عن أبيه ٠ وقد تكون "الريح " بمعنى الغلبة والقوة ، كما فى قوله تعالى : " ولا تنازعوا

فتفشلوا وتذهب ريحكم " (٤٢) ، وقول الشاعر الجاهلي :

أتنظران قليلا ريث غفلتهم   أو تعدوان فان الريح للعادى ؟

ويقال للريح أيضا " رِيحَة " ، كما قالوا : " دار " و " دارة " . وجمع " ريح " : " رياح " ، و " أرياح " (أو " أرواح ") و " رِيَح " (وربما كانت هذه الصيغة الأخيرة جمع " ريحة " وهى بمعنى " الريح " كما قلنا ، لأنه يطرد جمع " فِعْلة " بكسر الفاء على " فِعَل " بكسر ففتح) . وفى جمع الجمع قالوا : " أراويح " و " أراييح " .

وفى التعبير بـ " من " بدلا من " عند " فى قوله عليه الصلاة والسلام : " واما ان تجد منه ريحا طيبة " ماقد يوحى بأنه عليه الصلاة والسلام يقصد أن "الريح الطيبة " تنبعث من الجليس نفسه ، أى أنها صفة من صفاته ، لا أن الرائحة العطرة هى من المسك الذى يبيعه ، فكأنه هو قد أصبح مصدرا عطرا ينفح بالرائحة الزكية ، تحبيبا منه صلى الله عليه وسلم فى الجليس الصالح وتشبيها لأخلاقه وشمائله بالعطر .

ولاحظ كيف أنه صلى الله عليه وسلم بدلا من أن يقول : " اما ان يحذى جليسه ، واما أن يبتاع منه ... الخ " وجه الحديث للسامع ، ليظهر له اهتمامه به فيكسب قلبه وانتباهه ويكون كلامه عليه السلام أفعل فى نفسه ، أى أنه عليه السلام قد عدل عن الكلام الخاص . والسبب هو الرغبة فى زيادة قوة التأثير .

ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك ، واما ان تجد منه ريحا منتنة

سمى الرسول عليه الصلاة والسلام الحداد بـ " نافخ الكير " ، لأن نفخ الكير هو مدار الصورة ، فهو السبب فى ثوران الدخان وانتشار الرائحة المزعجة . أما بقية أعمال الحداد فليست مرادة هنا . كذلك فقد جعل الرسول بائع المسك " حاملا " له ، بما يفيد أنه أينما ذهب صحبته العطور التى يبيعها والروائح الكريمة المنبعثة منها .

كذلك فان لكل من الصورتين ايحاءاتها : فالرائحة الزكية تذكر بالجنان ومافيها من ورود ورياحين . ولاننس أن جنة الآخرة سيكون فيها المسك والريحان . كذلك فحرق الثياب والدخان الكريه الرائحة يومىء الى الجحيم ونيرانها وحرائقها ودخانها . ان الجليس الصالح هو من أهل الجنة ، على حين أن جليس السوء هو من أصحاب النار .

ويصدق على استعماله صلى الله عليه وسلم حرف الجر " من " بدلا من الظرف " عند " فى قوله : تجد منه ريحا منتنة " ماقلناه فى " تجد منه ريحا طيبة " .

منتنة

ما أكثر الألفاظ التى تكررت فى أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ولم ترد مع ذلك فى القرآن الكريم بتاتا • ومن بين هذه الألفاظ كلمة " منتن " وكل مشتقاتها ، اذ لا أثر لها فى القرآن ، على حين ترددت فى الحديث النبوى • وهاك بعض الأمثلة على ذلك :

" تباعد عنه الملك من نتن ماجاء به " (٤٣)•

" ••• التى تدفع بأنفها النتن " (٤٤) •

" ••• حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم " (٤٥) •

" فلياكله الا أن ينتن " (٤٦) •

" ان أول مانيتن من الانسان بطنه " (٤٧) •

" ألم أنه عن هاتين الشجرتين المنتنتين ؟ "(٤٨) •

"يخرج الله قوما منتنين قد محشتهم النار " (٤٩) •

" دعوها ، فانها منتنة " (٥٠)

وقد قلت فى الدراسة التى عقدتها للمقارنة بين الأسلوب القرآنى وأسلوب الأحاديث النبوية الكريمة انه " ليس فى القرآن ••• ذكر لنتن أو بول أو بَرَاز أو بصاق أو قىء أو ذكر أو دبر أو ختان أو تقبيل أو مفاخذة أو جماع أو روث ••• الخ ، على خلاف الأحاديث التى طرقت هذه الموضوعات واستعملت هذه الألفاظ • ولست أقصد أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن يراعى المشاعر الحساسة ، انما هى ضرورة الحياة والتشريع • وهوعليه السلام كان أبعد مايكون عن اللغو والفحش، الا أنه كان مضطرا الى طرق هذه الموضوعات ليعلم اتباعه أمور حياتهم ودينهم • والعبرة على كل حال بالقصد والسياق •ولكن الغريب العجيب مع ذلك كله أن القرآن برغم هذه الضرورة قد ابتعد تماما عن هذه الألفاظ والعبارات ، فبقى فذا فى سماء عالية لاتطال "

كما ذكرت فى الدراسة المشار اليها أن القرآن يختلف أيضا فى هذه السمة عن الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى ، فهو يعج بهذه الألفاظ ، وتكثر فيه أحيانا أسماء العورات ومالا يستحب ذكره مما يثير الاشمئزاز أو الحياء أو كليهما معا •

اما

ذكر الشيخ الصابونى (٥١) أن " اما " هنا "شرطية تفيد معنى التفصيل " • فاما أنها هنا للتفصيل فصحيح • ولكنها ليست شرطية • وانما هى شرطية فى مثل قوله تعالى : " فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون " (٥٢) ، و " واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا " (٥٣) •وقد تكون " اما " شرطية تفصيلية معا ، كما فى قوله عز وجل : " فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ، واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء " (٥٤) •

أما فى الآيات القرآنية التالية فهى كما فى الحديث الذى بين أيدينا تفصيليه فقط :

" قالوا : ياموسى ، اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين " (٥٥) •

" وآخرون مرجون لأمر الله : اما يعذبهم ، واما يتوب عليهم "(٥٦) •

" قلنا : ياذا القرنين ، اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا " (٥٧)•

" حتى اذا رأوا مايوعدون : اما العذاب واما الساعة فسيعملون من أضعف ناصرا وأقل جندا " (٥٨)٠

" قالوا : ياموسى ، اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى " (٥٩) ٠

" فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ٠ حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ٠ فاما منا بعد واما فداء " (٦٠) ٠

" انا هديناه السبيل : اما شاكرا واما كفورا " (٦١) ٠

التفصيل بعد الاجمال :

شبه الرسول عليه السلام الجليس الصالح وجليس السوء بحامل المسك ونافخ الكير أولا تشبيها اجماليا ، ثم عاد فبين لنا وجوه الشبه فى كل من الحالتين ٠ والبدء بالاجمال من شانه أن يثير فضول السامع ويستحوذ على انتباهه فيتطلع ليعرف السر الذى على أساسه شبه الرسول عليه السلام ذينك بهذين ٠ فاذا ماذكر صلى الله عليه وسلم السبب وقع من نفس السامع موقع الماء فى حلق الظمآن ٠ وان اثارة الشوق ثم اطفاءه هو من الحيل الفنية فى ميدان الأعمال القصصية ، ودورها فى الاستيلاء على اهتمام القارىء أو السامع وامتاعه لاينكر ٠

الحديث السادس

عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال .
" المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير . احرص على ماينفعك ، واستعن بالله ، ولاتعجز . وان اصابك شىء فلا تقل : لو انى فعلت كان كذا وكذا " ، ولكن قل . " قدر الله ، وماشاء فعل " ، فان " لو " تفتح عمل الشيطان "

(من صحيح مسلم)

المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف

الحياة قائمة على القوة ، والقوى هو الذى ينتصر . وقد يكون الانسان صاحب حق ، ولكنه لضعفه لايستطيع لحقه نيلا ، فيعيش فى نكد ومذلة وهوان لرؤيته حقه وقد غصبه منه الآخرون وهم يستمتعون به ، على حين هو محروم منه ، يذاد عنه كما يذاد الغريب عن شىء لاعلاقة له به ، بل قد يضرب ويهان اذا طالب به بله حاول أن يسترده .

والاستعمار من الأمثلة الصارخة على انتصار القوة على الحق ، ومنه الاستعمار الاسرائيلي الذى اغتصب فلسطين من أيدى العرب والمسلمين لقوته وضعف أصحاب الأرض . ويوم أن يقوى أصحاب الحق (ولا أقصد بالقوة القوة المادية وحدها ، بل القوة المادية والمعنوية) ويصبحوا أقوى من المعتدى ، عندئذ يمكنهم أن يستردوا حقهم . أما قبل ذلك فلا .

ولمعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك نبه المسلمين الى أهمية القوة ، بل حثهم حثا على امتلاكها ، وذلك عن طريق النص على أن المؤمن القوى أحب الى الله من أخيه المؤمن الضعيف وخير منه : خير منه لنفسه ولمجتمعه وللانسانية ، بل وللكون كله . ذلك أن المسلم اذا عرف أن القوة هى سبيله الى زيادة نصيبه من حب الله اجتهد فى تحصيلها والاستزادة منها والمحافظة عليها . ذلك أن حب الله ورضوانه هما غاية الغايات ، وأعلى درجات النعيم الاخروى .

والملاحظ أن الرسول عليه السلام لم يقل ان " القَوِىّ " (مطلقا) خير من " الضعيف " مطلقا ، بل قيد القوة بالايمان . ذلك أن القوة اذا عريت عن الايمان فقد تكون كالقطار الذى لامكبح له ، أو لا سائق يقظ خلف عجلة قيادته يوقفه عند اللزوم حتى لاتحدث كارثة ، ويوجهه الى الطريق الموصل للهدف المنشود . ثم ان " الايمان " فى الاسلام هو أساس قبول الأعمال . وقد صرح القرآن بأن أعمال الكافرين " كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، لايقدرون مما كسبوا على شىء "(١) ، وانها " كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه " (٢) . كما قال سبحانه أيضا : " وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا "(٣) . وهكذا ... القوة وحدها اذن لاتكفى فى الاسلام ، ومن ثم فقد قرنها الرسول الكريم بالايمان .

على أننا لابد أن نتنبه الى أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يشير بالقوة هنا الى القوة المكتسبة ، لا القوة التى لاحيلة للانسان فيها ولادخل ، فقد يولد انسان قوى الجسم مثلا وآخر ضعيفه عليله ، فهل يكون الأول أفضل من الثانى رغم أنه ربما لا يحافظ على ما أوتيه من قوة ،

ويحاول الثانى أن يتخلص من علله وأمراضه وضعفه؟ لا أخال ، بل العكس هو الصحيح ، لان الثانى يجتهد فى تحصيل القوة ، والأول لايهتم بذلك ، بل لايهتم بالمحافظة على القوة التى فى يديه فعلا • ان مجال التفاضل بين العباد هو ماكان داخلا فى طوقهم ، أى ماكانوا حياله مختارين ، لا ماكان مفروضا عليهم فرضا فلاحيلة لهم فى اكتسابه ولا فى دفعه •

كذلك ينبغى الالتفات الى أن الرسول عليه السلام لم يحدد نوع القوة فى حديثه ، بل أطلقها اطلاقا • ذلك أن القوة أنواع : فمنها قوة الجسد، وقوة الخلق ، وقوة المال ، وقوة العقل ، وقوة النفس والارادة ، وقوة الصبر ، وقوة العمل ، وقوة الذوق والاحساس ••• الخ • والاسلام يحض على امتلاك كل أنواع القوة • ذلك أن الحياة فى جانب منها صراع، وأعداء المسلمين كثر ، ولن يردعهم عنهم الا القوة • وقد كان المسلمون أعزة حينما كانو أقوياء : أقوياء بايمانهم واستعدادهم للتضحيات بالنفس والمال والولد والراحة ، وصبرهم على مكاره الجهاد والعمل ، ثم لما فرطوا وضعفوا استأسد عليهم أولئك الذين كانوا يرتجفون لمجرد سماعهم اسمهم • ولقد كان الرسول عليه السلام على الحق فى مكة مثلما كان على الحق فى المدينة • ومع ذلك فشتان بين حال وحال ! كان فى مكة مضطهدا هو وأتباعه ، وكان الكفار لايرعون فيهم الا ولاذمة ، ولكنهم بعد أن هاجروا الى المدينة وقووا باخوانهم الأنصار ، وأصبحت لهم دولة ذات ظفر وناب ، ولهم جيش يدفعون به عادية العادى ، وأذن اللهم لهم بمقاتلة ظالميهم ،عندئذ وعندئذ فقط عمل الكافرون لهم ألف حساب • انها القوة !

والمسلمون اليوم ليسوا ضعفاء من حيث عددهم ولا من حيث ثرواتهم ، ومع ذلك فكثير من حقوقهم مهضوم • والسبب هو أنهم رغم كثرة عددهم وسعة ثرواتهم (سواء كانت ثروات فعلية أو ثروات كامنة تحتاج الى جهد يستخرجها ويبرزها) لاتزال تنقصهم قوة التعاون المثمر الفعال وأن يكونوا يدا واحدة على عدوهم مثلما عدوهم يد واحدة عليهم ، ولاتزال تنقصهم قوة العلم (وبخاصة العلم الطبيعى) التى اذا امتلكوها أمكنهم أن يصنعوا سلاحهم بأيديهم وينتجوا طعامهم بأنفسهم ويبنوا مصانعهم ويجهزوها بما يلزمها من آلات دون الاستعانة باليد الأجنبية التى هى فى غالب الأحيان يد عدوة • وكذلك لاتزال تنقصهم قوة الصبر على مكاره الجهاد ، فلا أظن حرارة الايمان عند مسلمى اليوم هى حرارته عند مسلمى صدر الاسلام ، ولا عزة نفوسهم واحساسهم بكرامتهم فى درجة احساس أجدادهم الأوائل بعزتهم وكرامتهم ، ولا استعدادهم للتضحية والانخلاع من ربقة النفس والمال والولد كاستعداد الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم •

ولأهمية القوة نجد أن احدى الفتاتين اللتين ساعدهما موسى عليه السلام عند ماء مدين تقول لأبيها تغريه باستئجار موسى :" ان خير من استأجرت القوى الأمين " (٤) ، ذاكرة القوة بوصفها أساسا من الأساسين الذين اقترحت موسى بناء عليهما ، بل ذاكرة اياها أولا ، أى قبل الأمانة • ذلك أن تلك الفتاة الكريمة الذكية كانت تعرف أن الأمانة لاتجدى شيئا من غير القوة • وهو نفس مافعله الجنى الذى عرض على سليمان عليه السلام أن يأتيه بعرش ملكة سبأ ، اذ قال : " وانى عليه لقوى أمين " (٥) • ولأمر ما لم تذكر كلمة " قوى " فى القرآن الا سابقة لغيرها من الصفات سواء نسبت لله أو للبشر • وبالنسبة لاستعمال كلمة " مؤمن " فى القرآن والحديث نلاحظ أنها قد وردت فى أحاديث كثيرة بالألف واللام ، كما فى النصوص التالية :•

" المؤمن اذا بشر برحمة الله ••• أحب لقاء الله " (٦) •

" المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض الملائكة " (٧) ٠
" المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به ٠٠٠"(٨)
" المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم " (٩) ٠
" المؤمن بخير على كل حال " (١٠) ٠
" المؤمن غر كريم "(١١)
" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (١٢)٠
" المؤمن لاينجس" (١٣) ٠
" المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم " (١٤) ٠
" المؤمن مرآة المؤمن " (١٥) ٠
" المؤمن مألفة " (١٦) ٠
" المؤمن يدرك بحسن خلقه درجات ٠٠٠ " (١٧) ٠
" المؤمن يرى ذنوبه كأنه تحت جبل " (١٨) ٠
" المؤمن يؤجر فى كل شيء "(١٩) ٠
" المؤمن يأكل فى معي واحد " (٢٠) ٠
" ماستفاد المؤمن بعد تقوى الله خير له من ٠٠٠ " (٢١)٠
" فدعونى أبشر أهلي "(٢٢)٠
" من سرته حسنته وساءته سيئته فذاكم المؤمن " (٢٣) ٠
" ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان " (٢٤) ٠
" لايلدغ المؤمن من جحر مرتين " (٢٥) ٠
" الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " (٢٦) ٠
" قتال المؤمن كفر ، وسبابه فسوق " (٢٧) ٠

أما فى القرآن الكريم فلم ترد كلمة " مؤمن" بالألف واللام قط ، اللهم الا مرة واحدة لاغير ، وذلك فى قوله تعالى " لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن " (٢٨) ٠، أى أنها فى المرة اليتيمة التى وردت بالألف واللام فى القرآن كان مقصودا بها الله لا البشر ٠ فهذا فرق آخر من الفروق الأسلوبية (وما أكثرها) التى يتميز بها كل من القرآن والحديث عن الآخر ، اذ قد وردت فى كثير من الأحاديث مقصودا بها البشر ، على عكس القرآن ، الذى لم يستعملها للبشر الا نكرة ٠ وحتى حين وردت فيه بالألف واللام ،اسما من أسماء الله كان ذلك مرة واحدة من بين اثنتين وعشرين ٠

ونفس ماقيل عن كلمة " المؤمن " ينطبق على كلمة " ضعيف " ، فانها لم ترد فى القرآن الكريم بالألف واللام ،على حين أتت فى الأحاديث النبوية المشرفة بهما مرارا ٠ وهاهى ذى الشواهد :

" واذا سرق فيهم الضعيف ٠٠٠ " (٢٩) ٠
" أمة لاياخذ الضعيف فيه حقه " (٣٠) ٠
" يصلى وراءك الكبير والضعيف " (٣١) ٠
" جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة " (٣٢) ٠
" على القوى والضعيف " (٣٣)٠
" وفى سبيل الله وابن السبيل والضعيف " (٣٤) ٠

" ولذى القربى والضعيف " (٣٥) ٠

" وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف " (٣٦) ٠

" ان من أمتك الضعيف " (٣٧) ٠

وهذا علاوة على أن كلمة " ضعيف " فى القرآن لم تأت الا منصوبة ، كما هو واضح من الآيات التالية ، وهى كل المواضع التى وردت فيها هذه الكلمة :-

" فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا " (٣٨) ٠

" يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا " (٣٩) ٠

" فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا " (٤٠) ٠

" وانا لنراك فينا ضعيفا " (٤١) ٠

أما فى الأحاديث فقد وردت مرفوعة ومجرورة (كما يتضح من الشواهد التى سقتها) ، الى جانب ورودها منصوبة ٠

وفى كل خير

كان الرسول صلى الله عليه وسلم قمة فى علاجه النفوس، فكان من ثم حريصا على التشجيع لا التقريع ماستطاع ، وكان يبشر ولاينفر ، وييسر ولا يعسر ، وكان يتجنب جهده أن يمس احساس أحد او يؤلمه بكلمة ٠ ولذلك فانه بعد أن ذكر فضل المؤمن القوى على أخيه المؤمن الضعيف وأنه أحب الى الله منه أراد أن يشجع الآخر على أن يبذل هو أيضا جهده ويبث فى نفسه الأمل ، فذكر أنه هو كذلك فيه خير ٠

وهذا الموقف منه صلى الله عليه وسلم يذكرنى بموقفه من عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت (رضى الله عنهم جميعا) حين أخذوا يردون سهام شعراء المشركين الذين كانوا يهجونه عليه الصلاة والسلام ، فقد فضل حسانا على أخويه ، لكنه لم يشأ صلى الله عليه وسلم أن يفهم الآخران أنه لايقدر صنيعهما ولايحمد لهما جهدهما واخلاصهما ، فأثنى أيضا على شعرهما ووصفه بالاحسان ٠ قال :" أمرت عبدالله بن رواحة (بهجاء قريش) فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى " ٠

ومن ناحية الاعراب فشبه الجملة "فى كل " خبر مقدم ، والمبتدأ هو " خير" ٠ وقد سوغ تأخيره مجيئه مبتدأ رغم تنكيره ٠

احرص على ماينفعك

الحياة سباق ، وهى فى جنب منها قائمة (كما قلت) على الصراع ٠ والانسان العاقل هو الذى يحرص فيها على الفوز بأكبر نصيب من الخير والحسنات ورضا الله سبحانه ، لأنه اذا خرج منها خاسرا كانت العاقبة وبيلة ، الا اذا لطف الله به وغفر له ٠

ولايقصد الرسول بالنفع هنا أن يتقوقع الانسان حول نفسه ولايرى الا اياها ، ويعمى عن الآخرين ومصالحهم فلا يضعهم فى حسابه بل يدوسهم ان وقفوا فى طريقه (وربما داسهم حتى ولم لم يشكلوا له أية عقبة ، كما نرى فى بعض مرضى النفوس المتهوسين بايذاء الآخرين وتحطيمهم)٠ لا ، ولكنه عليه السلام يقصد ماينفع الانسان فى دنياه وأخراه معا ٠ ذلك أن الدنيا فى الاسلام ، رغم أهميتها

وأمر الله للمؤمنين أن يتفوقوا فيها حتى تكون لهم اليد والكلمة العليا ، هي في حقيقتها معبر الى الآخرة • ومن خسر أخراه لم تنفعه دنياه •

واذا كانت الحياة قائمة في جانب منها على الصراع فهي في جانب آخر قائمة على التعاون والتعاضد : التعاون بين البشرية جماء ، أو بين أبناء الأمة الواحدة أو الدين الواحد ، أو على الاقل بين أفراد الأسرة • وكثير مما ينفع الفرد يكون داخلا فيما ينفع الجماعة ، أو على اقل تقدير لايكون متعارضا معه • والمؤمن ينفع نفسه في كثير من الأحيان من خلال نفعه للجماعة التي ينتمي اليها • ومع ذلك فقد تتعارض منفعته مع منفعة الآخرين ، كما في حالة ما اذا كان هناك منصب خال هو أحق واحد بشغله ولكن غيره يريد أن يأخذه منه بالباطل • ففي هذه الحالة عليه أن يحرص على ماينفعه بالمعنى الفردى البحت ولايدخر وسعا في الحصول على حقه • ذلك أن الأمر هنا قد تحول الى صراع بين الحق والباطل • واذا كان المسلم مأمورا أن ينصر الحق في أى موطن يرى فيها الباطل يحاول أن يهضمه، فمابالك لو كان هذا الحق حقه ، والذى يراد هضمه وظلمه هو شخصه هو ؟

والحرص على ماينفع يقتضي من المؤمن أن يبتعد عما يضره وكذلك عما لافائدة تجني من ورائه •

والفعل " حرص" يأتي غالبا مفتوح العين في الماضي •وقد ورد بفتحها في القرآن الكريم :

" ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حَرَصْتُم " (٤٢) •

" وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " (٤٣) •

وينطق أحيانا بكسرها فيقال " حَرِص" • والمضارع مكسور العين في الحالتين• والصفة منه " حريص" ، والجمع " حُرَصَاء / حِرَاص/ حُرَّاص" ، وجمع " حريصة " (صفة المؤنث) : " حِرَاص/ حَرَائِص" •

والمصدر منه " حِرْص" (بكسر فسكون) • وهو من الكلمات التي لم ترد البته في القرآن •

أما في الأحاديث فقد ورد في النصوص التالية وغيرها :

" أوجع يشئزك أم حرص على الدنيا ؟ " (٤٤) •

" الحرص على العمر والحرص على المال " (٤٥) •

" وتبقى معه اثنتان : الحرص والأمل " (٤٦) •

" ما ••• بأفسد لها من حرص المرء على المال " (٤٧) •

" زادك الله حرصا ، ولاتعد " (٤٨) •

واستعن بالله

الاستعانة بالله من شانها أن توقظ همةالمرء ، وتحرك طاقاته الكامنة ، وتبعد عنه شبح اليأس، وتجعله يركز تفكيره وانتباهه فى عمله ، اذ لاخوف ولاقلق ، بل اطمئنان وسكينة نفس· والسبب فى أن الاستعانة بالله تفعل هذه الأعاجيب هو أن المستعين بالله يؤمن بأنه انما يستعين برب الكون ، رب الأسباب والنتائج ، القوى القادر المهيمن ذى الارادة المطلقة والمشيئة التى تعلو كل مشيئة ·

وقد لاحظت أن فعل الأمر من " استعان " لم يات فى القرآن الكريم الا مسندا لواو الجماعة :

" واستعينوا بالصبر والصلاة " (٤٩) ·

"استعينوا بالصبر والصلاة · ان الله مع الصابرين " (٥٠) ·

" قال موسى لقومه : استعينوا بالله واصبروا " (٥١) ·

أما فى أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام فقد تكرر توجيه فعل الأمر من هذا الفعل الى المخاطب المفرد (الى جانب مجيئه فيها مسندا لواو الجماعة) :

" استعن بيمينك " (٥٢) ·

"ثم استعن بسائره عليك "(٥٣) ·

" فاستعن بالله ··· وقاتلهم " (٥٤) ·

" فاستعن عليه من حولك من المسلمين " (٥٥) ·

" واستعن بالله ولاتعجز " (٥٦) ·

" استعينوا بالركب " (٥٧) ·

"استعينوا بطعام السحر على صيام النهار " (٥٨) ·

" واستعينوا بالغدوة والروحة " (٥٩) ·

" واستعينوهم على ماغلبكم " (٦٠) ·

ولاتعجز

قد يكون العجز جسديا ، وقد يكون نفسيا خلقيا ··· الخ ، وقد نهى الرسول عليه السلام عن العجز مطلقا ، فعلى المسلم الا يستسلم لأى منه ، بل يبحث عن الوسائل التى تساعده على التغلب عليه · وقد يكون المطلوب فى كثير من الاحيان هو مجرد التفكير المنطقى · فمثلا لو رتب الانسان أن يستذكر عددا معينا من الدروس كل يوم ، ثم وجد بالتجربة أنه يعجز عن ذلك ، فانه يستطيع أن يتغلب على هذا العجز بان يقلل عدد الدروس التى يستذكرها يوميا · وقليل ممكن خير من كثير متعذر · وقد يحاول الانسان أن يحفظ مثلا قصيدة من عشرين بيتا فلا يستطيع · فهل يستسلم للعجز ؟ ان بامكانه أن يقسمها نصفين أو ثلاثة أثلاث أو أربعة أرباع ، ثم يحفظها جزءا جزءا ، وعندئذ يجد أنها قد أصبحت سهلة · وفى بعض الاحيان لاتواتى النفس صاحبها فيما يريدها عليه من عمل ، فيتكدر ويشعر بالعجز وربما باليأس أيضا · ولكنه لو أخذها باللين فلم يقسرها بل تركها تستريح دون أن يشعرها بالذنب فانها تنشط له بعد فترة ، واذا بالمستحيل يصبح ممكنا ، والنفور يستحيل همة واقبالا ·

ان اليأس خطير ويؤدى الى الشلل والتهلكة · ومن هنا جعله القرآن قرين الكفر :

" انه لاييأس من الله الا القوم الكافرون " (٦١) · كما ذكر أنه لا " يقنط من رحمة ربه الا الضالون

" (٦٢) ٠فواجب المسلم ألا يفقد الأمل مهما تكن كثافة الظلمات التى تحيط به ٠ وقد أكد القرآن ان " مع العسر يسرا " (٦٣) ٠وتجربة الحياة تقول لنا ان الأمر ، أى أمر ، لايبقى على حال أبد الدهر ، بل الأيام مداولة بين الناس٠ وضعيف اليوم قد يكون قويا غدا ٠والفشل ليسضربة لازب على الفاشلين ، بل الأمر يخضع للتخطيط والدراسة العلمية المتانية ٠ فاذا حدث فشل فليعد الانسان حساباته ، وليصحح أخطاءه ، وليعمل على توفير عوامل النجاح ، ثم ليعاود الكرة فى ثقة بالله وأمل فى المستقبل وثبات أعصاب ، وسينجح ان شاء الله ٠

والفعل " عَجَزَ "(بفتح العين) اذا جاء مضمومها فى المضارع كان معناه " أسَنَّ وكَبِر " ، واذا كان المضارع مكسورها كان معناه " ضعف " ٠ والمعنى الأخير هو المقصود هنا ٠ والصفة منه " عاجز " وقد تنعكس حركتا عين الماضي والمضارع من الفعل فيقال :" عَجِز يَعْجَز " ٠ والمصدر " عَجْز / عُجُوز / عَجَزان / مَعْجِز / مَعْجِزَة "٠ أما الصفة من الفعل بضم العين فى المضارع فهى " عجوز " ٠ وقد تضم عين هذا الفعل فى الماضى أيضا (هكذا :"عَجُز يَعْجُز ") ٠ أى عندنا فى معنى " الضعف " : " عَجَز يَعْجِز " و " عَجِز يَعْجَز " ، وفى معنى " التقدم فى السن " : " عَجَز يَعْجُز " و " عَجُز يَعْجُز " ٠

وان أصابك شيء فلا تقل : " لو أنى فعلت كان كذا وكذا " ، ولكن قل : " قدر الله وماشاء فعل " ، فان " لو " تفتح عمل الشيطان

لايحب الاسلام للمسلم أن يلوى رقبته نحو الماضى مضيعا وقته فى البكاء على مافات والحسرة والتندم على مايستحيل ارجاعه ، بل يريد منه أن يتطلع الى المستقبل فى تفاؤل وأمل ٠ ان الماضى قد أصبح فى عداد الأموات ٠ وكل مايمكن أن يستفيده الانسان منه انما هو العظة والعبرة ٠

ولكى يتغلب الانسان على غصص الحسرة والأسف نبهه الاسلام الى أن ماوقع انما هو قضاء الله وتقديره ومشيئته ، ومايشاء الله فلابد أن يقع ٠ وهذا هو دور عقيدة " القضاء والقدر " ٠ أما قبل وقوع الشيء فهو غيب مستكن فى أطواء المستقبل ، وبالتالى فغير مقبول العجز والاستسلام بحجة ان ما أراد الله واقع واقع لامحالة ، اذ على الانسان أن يبذل جهده لآخر لحظة ، فاذا وقع الأمر فعندئذ يستطيع أن يقول :" هذا قضاء الله وقدره " ٠ وحتى حينئذ فان واجب الانسان أن يحاول تغيير الأمر الى الأفضل ، ومحاولته هذه تدخل بدورها فيما قضاه الله وقدره ، وهكذا دواليك ٠

ومشاعر الحسرة التى لاتفيد هى من وساوس الشيطان ، أو كما قال الحديث " عمل الشيطان " ٠ وقد شبه الرسول عليه السلام عمل الشيطان بالباب الذى تهب من خلاله ريح الشر ، ومن ثم فالعاقل هو الذى يحرص على ابقائه مغلقا ، وذلك بالرضا بمقادير ربه واحتساب مافاته وضاع عليه عنده سبحانه ، مع محاولة تعويضه أو تقليل خسائره على الأقل ٠ ومفتاح باب الشر هذا هو كلمة " لو "٠ وليس المقصود حروف الكلمة ، فليس فى اللفظة فى ذاتها قوة سحرية ، بل المراد هو معناها الذى يظل يهجس فى ضمير الانسان الضعيف الايمان ، الذى يستسلم لهواتف الشيطان المبيرة ٠ والمسالة مسالة عادة ، فاذا تعود المسلم على الصبر عند الشدائد ، وعلى رباطة الجاش والتطلع الى ماعند الله سهل عليه الأمر ٠ وان مما يساعد على هذا الصبر التعمق فى فهم الحياة ، فليست الحياة كلها مكاسب ، وليست كلها عسرا وسكرا ، بل فيها أيضا الصاب والعلقم ، ولابد لكل انسان

أن ينال نصيبه من هذا وذاك • هذه هي طبيعة الحياة •

الحديث السابع

عن اسامة بن زيد رضى الله عنه قال . سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

" يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى . فيجتمع اليه اهل النار فيقولون : " مالك يافلان ؟ الم تكن تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ " فيقول : " بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وانهى عن المنكر وآتيه " .

(من صحيح مسلم)

يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار

" الرجل " هنا معرفة بالألف واللام ، فاى نوع من أنواع " ال " هذه الألف واللام ؟ انها ليست للعهد ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لايقصد رجلا معينا . كما أنها ليست للجنس، اذ ليس كل الرجال ، لافردا فردا ولا على العموم ، سيلقون فى النار . وهى أيضا ليست " ال " الحقيقة ، لأنه ليس كل من تنطبق عليه حقيقة الرجولة سيفعل به هذا . كذلك لاينطبق عليها ماينطبق على " الذئب " فى قوله تعالى : " وأخاف أن يأكله الذئب "(١) . بمعنى " أى ذئب " يتصادف وجوده أو مروره حيث يلعبون .

ويبدو لى ، والله أعلم ، أن النحويين قد أغفلوا هذه الحالة ، التى تكون فيها " ال " بمعنى " بعض" أو " طائفة " أو " نوع " . والمعنى فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : يؤتى بطائفة أو نوع من الرجال ... الخ " .

على أنه ينبغى أن نضيف أن " الرجل " هنا لايقصد به معناه الحرفى ، بل المقصود الرجل والمرأة معا، لأن المرأة ستحاسب كما يحاسب الرجل ، ولأن العيب الذى يشير اليه الحديث ليس خاصا بالرجال وحدهم ، وان كان يغلب أن يقوموا هم بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ولابد أن نضيف أيضا أنه ليس شرطا أن يكون المراد بهذا النوع من البشر العلماء وحدهم، كما يفهم من كلام الشيخ الصابونى فى هذه النقطة ومن عنونته لهذا الحديث ، بل كل من يامر وينهى عن المنكر ينطبق عليه كلام الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما يتمايز فيه أسلوب القرآن وأسلوب الحديث أن كلمة " رجل " لم تات فى القرآن بالألف واللام قط ، أما الحديث فقد استعملها بالألف واللام مرات غير قليلة . واليك بعض الشواهد على ذلك .

" اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه... " (٢).

" لاينظر الرجل الى عورة الرجل " (٣) .

" ترى المرأة فى المنام مايرى الرجل " (٤).

" والرجل راع فى أهله " (٥) .

" ان ماء الرجل غليظ أبيض" (٦) .

" وصلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده " (٧) ٠

" ان الرجل لايقطع صلاة الرجل " (٨) ٠

أما بالنسبة لاستخدام الفعل " أتى بـ " (بمعنى " أحضر ") مبنيا للمجهول ، الذى ورد فى حديثنا هذا فالملاحظ أنه لم يرد فى القرآن قط ، بخلاف الأحاديث التى وجدت فيها الشواهد التالية :-

" اتى بالموت ملبيا فيوقف على السور " (٩) ٠

" يؤتى بالعبد يوم القيامة ٠٠٠ " (١٠) ٠

" يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام " (١١) ٠

" سيؤتى برجال من أمتى فيؤخذ بهم ٠٠٠ " (١٢) ٠

وواضح أن المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم : " يؤتى بالرجل يوم القيامة " أنه يؤتى به بعد محاسبته واصدار المولى الحكم بتعذيبه ، لان الانسان (العاصى طبعا) لايلقى فى النار ابتداء ، بل لابد من مثوله أمام مولاه وسؤاله عن كل ماعمل فى دنياه ٠وبعد ذلك يأمر الله به فيؤخذ فيلقى فى النار ٠

-- ولنتدبر قوله " يلقى فى النار " ومايشر اليه من الهوان والاحتقار الذى يلقاه أهل النار حتى قبل أن يبدأ عذابهم ، فانهم لايدخلون النار برفق بله يتركون حتى يدخلوها بأنفسهم ، وانما يؤخذون أخذا عنيفا مهينا ، ويقذفون فيها قذفا ٠

وقد أشار القرآن فى عدد من آياته الى هذا ، مثل قوله تعالى :

" خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم " (١٣) ٠ (اعتلوه : جروه جرا عنيفا واجذبوه بل احملوه اليها حملا)٠

" يوم يدعون الى نار جهنم دعا " (١٤) (والدع : الدفع العنيف القاسى الذى لايترك للانسان فرصة للتوقف أو التقاط الأنفاس) ٠

" يوم يسحبون على وجوههم فى النار : ذوقوا مس سقر " (١٥) ٠

وقبل أن نغادر هذه الجملة لابد لنا من وقفة أمام كلمة " يوم " فى عبارة " يوم القيامة " ، فقد يظن بعض الناس أنه يوم كأيامنا هنا على الأرض، مقداره أربع وعشرون ساعة ٠ وهذا وهم خاطىء ، فان يوم الأرض لايوجد الا على الأرض وفى دنيانا هذه ٠ أما فى الحياة الآخرة فان الكون سيكون قد تهدم وأعيد تركيبه من جديد ، كما يفهم من الآيات الكريمة التى تتحدث عن يوم القيامة ومايحدث فيه من تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وكشط السماء وبعثرة القبور وانفطار السماء وانتثار الكواكب ٠٠٠ الخ ، وكذلك من قوله تعالى : " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات " (١٦) ٠ وحتى فى الدنيا فان الأيام تختلف حسب دورة كل كوكب ، فكلما كان الكوكب أقرب الى الشمس من الأرض كان يومه أقصر من يوم الأرض، وكلما كان أبعد منها عنها كان يومه أطول ٠ وهذا بالنسبة للكواكب الشمسية فقط ٠ فى ضوء هذا نفهم قوله تعالى : " وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون " (١٧) ، و " تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " (١٨) ٠ ذلك أننا ينبغى فى مثل هذه المسائل أن نتحرر من مفهومنا

الأرضى الدنيوى لليوم • أما كيف سيكون طول يوم القيامة بالنسبة ليومنا نحن البشر الذى نعيش على الأرض الآن فذلك مالايعرفه أحد الا الله ، بل اننا لاندرى بأى مقياس سيقاس ذلك اليوم • كل مانعرفه أن الله سبحانه قد سماه " يوما " وأضافه الى "القيامة " ، فقال " يوم القيامة " • أما ماوراء ذلك نهو غيب محجب •

وسمى " يوم القيامة " بذلك لما قاله القرآن من أنه " يوم يقوم الناس لرب العالمين " (١٩) ، و يوم " يقوم الأشهاد " (٢٠) ، و " يوم يقوم الحساب " (٢١) •

فتندلق أقتاب بطنه

"الاندلاق " هو خروج الشيء من مكانه • هكذا يقول المعجم ، ولكن يبدو أنه لابد أن يكون الشيء محصورا فى حيز ضيق • وفى الغالب ينتشر فى المكان الواسع الذى يخرج اليه•

وربما يتوهم بعض الناس أن هذه كلمة غير فصيحة لكثرة ماتستخدم فى اللسان العامى ، وفاتهم أن العامية انما أتت من اللغة الفصحى • وليس شرطا أن يكون قد دخلها تشويه أو تحريف ، فقد يحدث هذا وربما لايحدث • ومن بين مايصيب الكلام اذا انتقل من الفصحى الى العامية • أن القاف (بوجه عام) تقلب همزة فى بعض اللهجات ، وجيما فى بعضها الآخر • وفى بعض الكلمات تبقى القاف كما هى ، كما فى " القرآن " و "النقد " (وان كان هناك من الطلبة من يقلبونها همزة أيضا فى " نقد " • وقد كنت فى طفولتى أسمع بعض نسوة القرية العجائز يقلن " الأُرآن ، يقصدن " القرآن ") •وهناك من يبقون فى لسانهم العامى على " القاف " كما هى ، كبعض أهل اليمن وبعض جهات مصر الساحلية فى شمال الدلتا • ومن الناس من يجعلونها بين القاف والكاف كبعض أهل فلسطين ، رد الله غربتهم • وقد يكون التغيير بتبديل بعض الحركات فى بنية الكلمة ، فيقال مثلا " مِشِى "بدلا من " مَشَى " ، ومع هذا فقد يكون لهذا التغيير أصل فى بعض اللغات القبلية التى اندثرت من الفصحى • ومن ذلك أن كثيرا من المصريين يقولون : " بَأَى " (يقصدون : " بَقَى ") ، وهى لغة فى " بَقِىَ " • وقد وجدت المتنبى استخدمها فى بعض شعره • ويظهر التغيير بقوة فى بعض الأدوات ، مثل "إِكِّمِنّ / إِسْمِنّ " المصرية ، بمعنى " لان " ،و " بَلْكِى " اللبنانية ، بمعنى " ربما " ، و " مُش" المصرية (تقابلها " مُو " فى السعودية • وقريب منهما " ماكو " العراقية) ، بمعنى " ليس" ••• وهكذا • وقد يكون التغيير فى تركيب العبارة • والعامية على أية حال أكثر حرية وأجرأ على كسر القيود • ذلك أنه لايوجد لها حراس يغارون عليها ، ولم تتقعد قواعدها بعد بصفة نهائية أو شبه نهائية ، بحيث يكون المتكلم بها واعيا بما يصح ومالا يصح •

وقد يقال ان اللغة العامية تتقبل الألفاظ الأجنبية ، مما يفرق بينها وبين الفصحى تفريقا حاسما • بيد أن قائلى هذا ينسون أن الفصحى أيضا قد دخلها ، ويدخلها وسيدخلها ، كثير من الكلمات الأعجمية • كل ما هنالك أن العامية كما قلت أجرأ وأكثر اندفاعا •

ونحن فى مصر نقول : " فلان مدلوء (مدلوق) على فلانة " ، والمقصود أنه لايستطيع أن يسيطر على عواطفه ، بل هو نفسه غير متماسك • ونقول أيضا : " اندلا (اندلق) الماء " أى انسكب " ••• وهكذا •

وهذه الكلمة هى من الكلمات التى لم ترد فى القرآن ، وان لم أعثر عليها فى الحديث النبوى الكريم الا فى هذا النص الذى بين أيدينا • وبالنسبة للكلمات التى تبدأ بـ " دال " و " لام " وردت

فى الحديث ولم ترد فى القرآن، نجد " دلج " :

"من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل " (٢٢) ٠

" انا مدلجون فلا يدلجن مصعب " (٢٣) ٠

" عليكم بالدلجة " (٢٤) ٠

وكذلك " دلع " :

" قد أدلع لسانه من العطش" (٢٥) ٠

و " دلك " (بمعنى " حك ") :

" فاذهب الى شربة فادلك رأسك حتى تنقيه " (٢٦)

(وان كانت الشواهد قليلة جدا كما ترى)٠

و " أقتاب " جمع " قِتْب " (بكسر فسكون) و " قَتَب " (بفتحتين متتاليتين) ، ومعناها " الأمعاء " أو " الرِّحال " (ج " رَحْل ") ٠ والمقصود هنا الأمعاء بطبيعة الحال ، لاضافتها الى كلمة " بطنه" ٠ ويقول بضع علماء اللغة القدامى ان " قتب " واحدها " قَتَبَة " ، أى أنها عندهم اسم جنس جمعى ، مثل " زهرة / زهر " و " شجرة / شجر " و " ثمرة / ثمر " ، وهلم جرا ٠

ومنظر اندلاق أقتاب الشخص(وطبقا ستندلق من دبره) من المناظر التى لايستطيع الانسان أن يتصورها الا ويشمئز اشمئزازا فظيعا ويخجل حتى من نفسه ، فمابالك لو لم يكن الأمر مجرد تصور بل رؤية حقيقية ؟ ومابالك لو لم يكن الأمر مجرد رؤية يراها الانسان فى غيره بل مصيبة تحل به هو وتجعله فرجة يتفرج عليها الناس؟ ألا انه وضع مخز !

فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى

يبدو أن المراد أنه سيكون مشدودا الى شىء فى قعر النار ثقيل وعليه أن يحركه بها ٠ وهى صورة مهولة ، اذ تخيل كم سيبلغ مدى آلامه وقد شدت أمعاؤه (التى خرجت من استه) ، الى مايشبه الرحى فى النار ، وعليه أن يديرها بها لايتوقف عن ذلك ٠ وحتى لو تقطعت أمعاؤه فسوف يعاد وصلها ليذوق العذاب باستمرار ٠ ان مجرد تخيل الصورة يصيب الانسان بالدوخان والغثيان !

وتأمل تشبيهه بالحمار ومافيه من ايحاءات بأنه لم يعد بشرا ٠ ذلك أنه لم يكن عنده فى الدنيا عقل ، ولم يكن يخجل من مخالفة أفعاله أقواله وادعاءاته ٠ ولاتنس أن القرآن قد شبه اليهود الذين كلفوا بالتوراة ثم لم ينهضوا بها ويعملوا بمافيها بالحمار الذى يحمل أسفارا ٠ ووجه الشبه أنهم حملوا التوراة فى أيديهم ولكنهم لم يحاولوا فهم ما فيها فضلا عن أن يعملوا بها ، مثلما يحمل الحمار الكتب والأسفار على ظهره ولكنه لايدرى منها حرفا ٠ والمعنيان قريب من قريب ٠

هذا ولا أحب أن أقف عند استخدام الحديث لحرف الجر " فى " (فى قوله : " فى الرحى ") ، ولماذا لم يقل " بالرحى " اذ أن دوران الحمار لايكون " فى داخل الرحى" ، وانما يدور " بها " ، أى تصاحبه فى دورانه ٠ والسبب هو أن هناك فيما يبدو رواية أخرى على الأقل للحديث استخدمت فيها " الباء " : " فيدور كما يدور الحمار برحاه " (٢٧) ٠

فيجتمع اليه اهل النار

أى أنه لن يعذب هذا العذاب ويخزى هذا الخزى بينه وبين نفسه ، بل سيتجمع حوله أهل النار وينظرون ماهو فيه ويسألونه عن سبب ذلك · وهذا االتجمع والفرجة والسؤال مما يزيده كربا على كرب وخزيا على خزى · وياليتهم اذ يجتمعون حوله ويشاهدون خزيه وعذابه يستطيعون أن يخففوا عنه ! ولكنهم مثله من أهل النار ·

و " أهل النار " هم الذين يلقون فيها ويعذبون بها · وكلمة " أهل " مأخوذة من مادة " أهل " (يقولون : " أَهِلَ فلان بكذا : أَنِسَ به " ، و " أَهِلَ المكانُ : عُمِر بأهله" ، و " أَهَلَ الرجل : تزوج " ، و " أهل الرجل بالرجل : رحب به قائلا : أهلا وسهلا ") ، أى أنهم يأنسون بالنار وتأنس بهم (وهذا غاية التهكم والتقريع) ، وأنها تعمر بهم (وياله من عمار !) ، وتقرن بهم · كما أن " أهل الرجل " هم عشيرته وذوو قرباه ، أو زوجته ، أى أن بينهم وبين النار نسبا وقربى ، فهم وهى على شاكلة واحدة ومن أصل واحد ، وهم يليقون بها وتليق بهم ·

وهذه التسمية (تسمية " أهل النار ") لم ترد فى القرآن سوى مرة واحدة ، وذلك فى قوله عز شأنه : " ان ذلك لحق تخاصم أهل النار " (٢٨) · أما فى أحاديث النبىعليه السلام فقد تكرر ورودها ، مثل :

" ··· آخر أهل النهار " (٢٩) ·

" كتاب فيه أسماء أهل النار " (٣٠) ·

" أشد أهل النار ··· عذابا " (٣١) ·

" (فانكن) أكثر أهل النار " (٣٢) ·

" وان كان شرا فلايبعد الا أهل النار " (٣٣) ·

" ان أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر " (٣٤) ·

" مالى أرى عليك حلية أهل النار ؟ " (٣٥) ·

" وأعوذ بك من حال أهل النار " (٣٦) ·

" عصارة أهل النار " (٣٧) ·

" يلقى على أهل النار الجوع " (٣٨) ·

" ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار " (٣٩) ·

" يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار " (٤٠) ·

" فان كان من أهل النار قيل : هذا مقعدك " (٤١) ·

" الا أخبركم بأهل النار ؟ " (٤٢) ··· وغير ذلك كثير ·

وبالنسبة لـ " يجتمع " فقد ورد الماضى واسم الفاعل فقط منه · وهذه هى النصوص :

" قل : لئن اجتمعت الانسوالجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله " (٤٣) ·

" ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له " (٤٤) ·

" وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون ؟ " (٤٥) ·

ولم يرد فيه المضارع البتة ، بخلاف الأحاديث · وهاهى ذى شواهدها :

" يجتمع المؤمنون يوم القيامة ···" (٤٦) ·

" لايجتمع الايمان والكفر ... ولايجتمع ... " (٤٧) .
" لايجتمع دينان فى جزيرة العرب " (٤٨) .
" لايجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا " (٤٩) .
" فانه والله لايجتمع والايمان أبدا " (٥٠) .
" ولايجتمع غبار فى سبيل الله ... " (٥١) .
" ولايجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا " (٥٢) .
" وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار " (٥٣) .
" ان أمتى لاتجتمع على ضلالة " (٥٤) .
" خصلتان لاتجتمعان فى مؤمن :...." (٥٥) ... وغير ذلك .

فيقولون . مالك يافلان ؟

سؤال عن حاله واستفسار عن السبب الذى ادى الى هذا المصير . وليس فى الكلام لوم ولاتوبيخ كما فهم الشيخ الصابونى " (٥٦) . وبخاصة ان الرجل قد اجاب السائلين عن سؤالهم . ولو كانوا يلومونه ويوبخونه لما ذكر الحديث انه رد عليهم . ولكنه لما رد عليهم دل ذلك على انهم كانوا جاهلين بالسبب الذى القى به فى النار . ويريدون ان يعرفوه . والطريف ان الشيخ الصابونى نفسه عاد فى شرح الحديث فذكر انهم سالوه " مستغربين ". وطبعا الاستغراب غير اللوم والتوبيخ . لان الاستغراب معناه ان الأمر غريب عليهم لايفهمون له سببا . اما اللوم والتوبيخ فلا يكونان الا عن علم .

" ومالك " مبتدا وخبر : " ما " هى المتبدا . و " لك " هى الخبر . والمعنى : " ما (حدث) لك ؟ "

الم تكن تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟

المعروف هو ماتعرفه النفس، بمعنى " تطمئن اليه " ، لأن النفس ترتاح الى ماتعرفه وتألفه ، فقد جربته ، وتعودت عليه . أما " المنكر " فهو ما لا ترتاح اليه ، لجهلها اياه وعدم تجربتها له . والمقصود النفس السليمة الخالية من الانحراف والشذوذ.

و " المعروف " فى الاسلام هو ماكان مباحا فى شريعة الله ، لصلاحه للنفس الانسانية وعدم مصادمته لما فطرها الله عليه . و " المنكر " هو ماحرمه الله سبحانه ،لعدم موافقته لمصلحة العباد . ان الخمر مثلا منكر ، فهى تغيب العقل ، وتطلق اللسان من عقاله فيفشى ماكان يجب أن يكتمه . وهى تصيب الجسم والنفس بأضرار وخيمة .وفوق ذلك فانها تتلف المال . وقد قرأت مرة قصة لقصاص ألمانى اسمه هانس فالادا عنوانها " السكير " ، وصفت كيف يمكن أن تدمر الخمر حياة شخص(كان قبل ادمانه الخمر ناجحا ومحترما بين الناس) تدميرا كاملا .

والتعبير بـ " ألم تكن تامر ... ؟ " بدل " ألم تامر ...؟ " يفيد أنه كان ديدنه ذلك ، أى أنه كان يفعله باستمرار .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مبدأ اسلامى ، وحضارى أيضا . والمجتمعات لايمكنها البقاء

اذا اختفى هذا المبدأ من حياتها فلم يتواص الناس بمعروف ولم يتناهوا عن منكر ، لانها قليلا قليلا تدع الصواب وتمعن فى طريق الضلال ، فتحرم نفسها من الخير وتجلب مايضرها وينخر فى بنائها . وفى النهاية تتهاوى كبناء من الرمال .

ولاينبغى أن يقول أحد : لا أريد أن يتدخل الآخرون فيما أفعل أو أقول ، فهذه حياتى وأنا حر فيها . ذلك أن الانسان لايعيش وحده بحيث يقع ضرر مايرتكبه من أخطاء على رأسه وحده ، بل يعيش فى مجتمع يتأثر بما يأتى وبما يدع . وقد شبه الرسول حال المجتمع الذى لايتواصى بمعروف ولايتناهى عن منكر بسفينة أراد من ينزل من ركابها فى قاعها أن يخرقوها بحجة أنه يخرقون الجزء الخاص بهم منها . ورغم أن السبب الذى دفعهم الى هذا ظاهره النبل ، اذ قالوا انهم لايريدون أن يؤذوا سكان سطح السفينة بمرورهم عليهم فى صعودهم وهبوطهم وهم يجلبون الماء ، وان الأفضل من ثم أن يستقوا الماء من النهر مباشرة عن طريق ثقب يثقبونه فى قاع السفينة ، رغم هذا فان الرسول عليه السلام قد رأى أنه لابد من الضرب على أيديهم بشدة ، والا غرقت السفينة بكل ركابها بمافيهم هم .

ولعلك لاحظت أنى جعلت " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " مبتدأ واحدا لامبتدأين منفصلين ، ذلك أننا لو أمرنا بالمعروف فقط ولم نبال بالنهى عن المنكر فان هذا المنكر يجعل جهودنا فى الأمر بالمعروف بل وجهود فاعلى المعروف أيضا تتبخر فى الهواء . وهذا أشبه بمن يحاول أن يملأ قربة مقطوعة بالماء أو بالهواء ، فهى محاولة مستحيلة . ولذلك يأتى " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " عادة مقترنين فى النصوص القرآنية والحديثية .

فيقول : بلى

لو قال انسان : " ستأتى غدا " ، وأراد المخاطب أن يوافقه على هذا فانه يقول :" نعم ، سآتى غدا " . ونفس الشىء ينطبق على الاستفهام ، فلو قال له : " هل ستأتى غدا ؟ " فان الجواب فى حالة الموافقة : " نعم ، سآتى غدا " .

ولكنه لو قال له : " لن تأتى غدا " ، وأراد أن يرد عليه بانه سيأتى غدا فان الجواب يكون : " بلى ، سآتى غدا " . ونفس الشىء مع الاستفهام : " ألن تأتى غدا ؟ - بلى ، سآتى " . خلاصة الكلام أن " نعم " تفيد الموافقة تعقيبا أو جوابا على جملة مثبته ، و " بلى " تفيد الموافقة تعقيبا أو جوابا على جملة منفية .

ويمكن الاكتفاء بكلمة " بلى " ، وحذف بقية الكلام ، بطبيعة الحال ، كما فى المثال التالى : " ألن يأتى غدا ؟ - بلى " . و " بلى " حرف ، وهى من الحروف غير العاملة ، مثل " سوف " و " قد " .

ومعنى" بلى" فى الحديث اذن : " صحيح أننى كنت آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر " .

ومن شواهدها فى القرآن ، بعد جملة خبرية أو استفهامية ، مثبتا مايتعلق بها من كلام أو محذوفا :

" زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا . قل : بلى ، وربى لتبعثن "(٥٧) .

" ألست بربكم ؟ قالوا : بلى " (٥٨) .

" كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها : ألم يأتكم نذير ؟ قالوا : بلى " (٥٩) .

" قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى " (٦٠) ٠

كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وانهى عن المنكر وآتيه

وهذا هو النفاق ، أى التظاهر بخلاف الحقيقة رغبة فى خداع الناس بغير وجه حق ٠ والنفاق داء وبيل ينخب الشخصية الانسانية ويجعل الرجل أجوف ، أى يعدم رجولته ، فاذا تحدث اليك فانك لاتطمئن الى مايقول ، واذا وعدك لم يحترم وعده وسقط من نظرك ٠ ومثل هذا الشخص يصعب ، بل يستحيل أحيانا ، التعامل معه ، اذ أن المتعامل معه كالقابض على الماء ، وأنى له ذلك ؟

وبعض الناس يتظاهرون بالصلاح وهم كالأفاعى ، يخدعون الناس بملاسة جلودهم وقلوبهم كلها غش وسواد ٠ وهم يأكلون من وراء هذا الغش ، ويتصدرون المجالس ، ويترأسون الجماعات والاجتماعات ٠ وهم عملة رائجة للأسف فى البلاد المتخلفة التى تعشق الصوت العالى وينافق أفرادها بعضهم بعضا ، وتعمى عن الذهب الحقيقى ، وتجرى وراء الصفيح المطلى ٠ ومثل هذه المجتمعات لاتكسب مجدا ، ولاتفلح فى شىء يذكر ٠ وهى راضية بهذا ، وان شكت منها الألسنة ، انها سجينة الكلام ، وما أقتل الكلام اذا تحول الى سجن !

من هنا حذر الاسلام من هذا الصنف من الناس وتوعدهم بالعقاب المخزى ٠ ذلك أن الله سبحانه لايحاسب عباده بالمظاهر ٠ وقد قال رسولنا الكريم : " ان الله لاينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم " ، وبين أن التقوى فى القلب ، وليست فى اللسان ٠ واذا كان هذا الصنف يروج عند الناس فى المجتمعات المتخلفة فانه لايروج عند الله ، بل يفضحهم على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، ويخزيهم حتى بين أهل النار ٠ وقد صور الرسول عليه السلام حالهم فى النار بما يملأ النفوس غثيانا واشمئزازا وخجلا : صورهم وقد خرجت أمعاؤهم من أدبارهم ، وشدت فيما يشبه الطاحون ، وأخذوا يديرونها دورانا لاينتهى ، والناس من حولهم فى النار ينظرون اليهم ولايمنعهم العذاب الذى هم فيه من الدهشة لحالهم وسؤالهم عن السبب الذى أدى بهم الى هذا ، بمايدل على أن الخزى الذى فيه هؤلاء المنافقون سيكون من الشناعة والبشاعة بحيث ينسى أهل النار ماهم فيه من آلام فيجدون الوقت وفراغ البال للاقبال عليهم والاستفسار منهم عما أصابهم ٠

وجملة " ولا آتيه " (ومثلها جملة " وآتيه ") يمكن اعرابها على العطف على الجملة التى قبلها (وهى " آمر بالمعروف " و " أنهى عن المنكر " على التوالى) ، أو على الحالية ٠ والاعراب الأخير أفضل ، لانه يفيد أنه فى الوقت الذى يأمر فيه بالمعروف او ينهى عن المنكر (وبرغم أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر) كان لايفعل شيئا مما يقول ٠

الحديث الثامن

عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال .
" اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح ، فان الشح اهلك من كان قبلكم . حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " .

(من صحيح مسلم)

اتقوا الظلم

"الاتقاء " هو وقاية النفس، اى صيانتها وحمايتها من الأخطار والمعاطب . واتقاء الظلم صيانة النفس عما يستتبعه الظلم من المضرات والمهالك .

و "الاتقاء " مصدر " اتقى " (على وزن " افتعل - افتعالا " . واصلهما " اِوْتَقَى اوْتِقَاء "، ثم قلبت الواو تاء وأدغمت فى التاء الأخرى) .

والملاحظ أن مفعول " الاتقاء " فى القرآن لايكون الا عقابا (أى نتيجة لا سببا) ، أو لفظ الجلالة (والله هو الذى يعاقب) ، ولم يحدث أن كان مفعوله السبب الذى أدى الى العقاب . وهذه هى الشواهد :

" واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا " (١) .

" واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله " (٢) .(واليوم هنا هو اليوم الذى يقع فيه العقاب الالهى) .

" واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " (٣) .

" فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة "(٤) .

" أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ؟ " (٥)

الى جانب الآيات التى تتحدث عن " اتقاء الله ، وما أكثرها .

أما فى الحديث النبوى فقد تكرر مجيء مفعول "الاتقاء " سببا لانتيجة :

" فمن اتقى المحارم فهو أعبد الناس" (٦) .

" ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه / لعرضه " (٧) .

" ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره " (٨) .

" اذا ضرب أحدكم فليتق الوجه " (٩) .

" واتق دعوة المظلوم " (١٠)

" واغسل اثر الخلوق واتق الصفرة " (١١) .

" اتقوا الحديث عنى " (١٢)

" اتقوا خداج الصلاة " (١٣) .

" اتقوا الظلم " (١٤) .

" اتقوا فراسة المؤمن " (١٥) .

" اتقوا الملاعن الثلاث " (١٦) .

" فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء " (١٧) .

" فاتقوا وسواس الماء" (١٨) .

وقد أطلق الرسول عليه الصلاة والسلام " الظلم " فى حديثه ، فدل هذا على أن الظلم بكل أنواعه منهى عنه ومعاقب عليه : فعلى الانسان ألا يظلم نفسه ، وألا يظلم غيره ، سواء كان هذا الغير انسانا أو حيوانا ، أو حتى جمادا • وظلم النفس يكون بارتكاب المعاصى وتعريضها من ثم لغضب الله وعذابه ، فضلا عن العواقب الوبيلة للمعاصى فى الدنيا ، اذ انه مامن معصية الا ولها عقابيل تظهر فى الجسم أو النفس أو المجتمع أو كل ذلك معا • وأفدح أنواع الظلم هو الكفر ، لان عقابه أشد العقوبات ، وهو الخلود فى النار فى أبعد قرارات الجحيم • أما ظلم الآخرين فهو واضح • وخطورته أنك تكسر قلب من توقع الظلم به وتذله وتحيل حياته الى جحيم ، ثم تحيل حياتك بعد ذلك فى الحياة الأخرى الى جحيم بدورها • والمظلوم اذا واتته الفرصة فلابد أن ينتقم حتى يطفىء النار التى فى قلبه • وهذا من شانه اثارة القلاقل فى المجتمع ، وبخاصة اذا كان المظلوم ليس فردا بل طائفة بأكملها أو طبقة اجتماعية أو شعبا بأسره • وظلم الجماد يكون باستخدامه فيما لم يصنع له ، أو بعدم صيانته ، أو تحميله عبئا فوق طاقته ••• الخ • والمسلم مامور بالرفق فى كل أموره ، حتى مع الجمادات ، وهو مسئول عن كل مايعمل • فالمفروض أن يكون استعماله للآلات والأدوات استعمالا رشيدا • أما بالنسبة للحيوانات فمعروف ذلك الحديث الذى يقص دخول امرأة النار لظلمها قطة ، اذ حبستها فلم تطعمها أو تسقها ، ولم تتركها تبحث عن طعامها وشرابها بنفسها • وفى المقابل ذكر الرسول عليه السلام أن رجلا دخل الجنة لانه وجد كلبا يلهث من شدة العطش ،فدلى حذاءه فى البئر وملأه ماء وسقى الكلب •

وعلى المظلوم أن يرفض الظلم وأن يدفعه عن نفسه بكل وسيلة • ولو قتل وهو يحارب الظلم فانه يكتب عند الله شهيدا • والذين يستكينون للظلم ويرضون به يبوءون بسخط الله ، اللهم الا ان كانوا أقويا قادرين على دفعه ، ولكنهم يتسامحون مع الظالم لانه ضعيف يترفعون عن أن يؤاخذوه بمافعل • بيد أن هذا قد يجر الى عواقب وخيمة ، ولذا فمن الأفضل لهم كف الظالم أو على الأقل تفهيمه أن من السهل كفه حتى يفيق من عماه ولايتمادى فى التعدى والاجحاف • وعلى كل فهذا اذا كان مفهوما فى ظلم الأفراد بعضهم لبعض فانه لايقبل فى تظالم الامم • ومع ذلك فالأمة الاسلامية الآن أصبحت ترضى بالظلم ولاتتعاون لدفعه • والنتيجة مزيد من المهانة والصغار •

فان الظلم ظلمات يوم القيامة

" النور " يوم القيامة دليل الفوز والنجاة واستحقاق صاحبه لجنة الخلد والنعيم • قال تعالى " يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم :بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم " (١٩) •" ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم " (٢٠) •

أما الظلمات فهى علامة أهل النار :" والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة • مالهم من الله من عاصم ، كانما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما • أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (١٢) •

وفى الانسان ميل الى الظلم الا أن تقمعه تقوى الله : " ان الانسان لظلوم كفار " (٢٢) • " وحملها الانسان •انه كان ظلوما جهولا " (٢٣) •

وتامل كيف جعل الرسول عليه السلام عاقبة الظلم " ظلمات " • و " الظلمات " من حيث اللفظ

قريبة جدا من " الظلم "، أى هناك تشاكلا بين " الظلم " و "الظلمات" من الناحيتين : من الناحية اللفظية ، ومن ناحية أنهما سبب ونتيجة • وهذا من التوفيق فى اختيار الكلام ووضعه مواضعه ، فقد اختار الرسول عليه السلام كلمتين بينهما صلة لفظيه تعكس مابينهما من صلة السبب بنتيجته • أى أن للجناس هنا وظيفة فنية • وهذا ينبغى التنبيه اليه • أما الاكتفاء بالقول بأن بين الكلمتين جناسا فليس هذا من التحليل الادبى ولاتذوق الكلام فى شىء وانما هو مجرد ترديد لمصطلحات فنية جامدة •

وقد لاحظت أنه على حين لم يستخدم القرآن قط مفرد " ظلمات " فان الحديث قد تكرر فيه ذلك ، مثل :

" وتغشاه ظلمة " (٢٤) •

" حتى اشتدت ظلمتها " (٢٥) •

" كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها " (٢٦) •

" وليلة شديدة الظلمة "(٢٧) •

" خلق خلقه فى ظلمة " (٢٨) •

" من مشى فى ظلمة ليل الى صلاة " (٢٩) •

" ان هذه القبور مملوءة ظلمة " (٣٠) •

... كذلك فعلى حين استعمل القرآن كلمة " الظلم " فقط استعمل الحديث " الظلم " و " المظلمة " أيضا • وهذه بعض الشواهد :

" ••• كانت لأخيه عنده مظلمة •••" (٣١) •

" وليس لأحد عندة مظلمة " (٣٢) •

" أخذ منه بقدر مظلمته "(٣٣) •

" ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها •••" (٣٤) •

" وتثيب المظلوم خيرا من مظلمته " (٣٥) •

" فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا " (٣٦) •

وانقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم

" شح يشح (ويشح ويشح) شُحّاً (وشَحّا وشِحّا) " : بخل وحرص. والصفة منه " شحّ " و " شَحَاح " و " شحيح " . وجمع " شحيح " : شِحَاح / أشِحَّة/ أشِحّاء " . وجمع " شحيحة " : شحائح " .

و " الزند الشحاح " هو الزند الذى لايورى . و " الماء الشحاح " هو الماء القليل النكد .و " الابل الشحائح " هى القليلة الدر .

" والشح " من صفات المرذولة ، وهو يدل على كزازة النفس وكراهية الخير وأنانية مفرطة. والحياة تحتاج الى التعاون والتساند والتعاضد والمؤمن ينبغى أن يحثه ايمانه ويدفعه دفعا الى مد يد المساعدة للآخرين ، وبخاصة الضعفة منهم وذوو الحاجة المنكسرون . وليس انسانا سليما من يرى ذا الحاجة الملهوف ولايعينه ، فمثل هذا الانسان لاقلب له . وكما أن الواحد منا لايرضى أن يتركه الناس يقاسى لهيب الحرمان وهم قادرون على أن يطفئوه عنه فينبغى الا يدع المحروم يعانى دون أن يتقدم لاقالة عثرته . والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه . والأيام دول بين الناس. وشيوع الخير فيهم يلطف قسوة الحياة ويخفف من حرارة هجيرها بالنسبه للمعطى والآخذ على السواء . ويكفى أن المعطى سيعيش غير خائف من جاره أو قريبه المحروم أن يحقد عليه فيؤذيه ، أو على الأقل ينظر اليه نظرات البغض والكراهية . وقد جعل الله التغلب على شح النفس فلاحا . قال عز من قايل : " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" ، وكرر ذلك فى القرآن الكريم مرتين (٣٧) . والصدقة تقع فى يد العلى الكريم قبل أن تقع فى يد الفقير المحتاج أو تذهب الى ما أنفقت فيه . وقد سماها الله سبحانه " قرضا حسنا" له وهو الرزاق الغنى المتعال :" من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ... ؟ "(٣٨) ، وتعهد بتنميتها لصاحبها وادخارها له ليوم لايغنى فيه الا العمل الصالح الذى قدمه الانسان فى دنياه ، ووعد بتوصيلها الى سبعمائة ضعف . وليست الصدقة نافلة من نوافل الدين ، بل هى واجب . وهذا الواجب هو الحد الأدنى فى طريق التغلب على الشح ، أو اتقائه كما قال الحديث . وكثيرا مالايكون هذا الحد الأدنى كافيا . ولخطورة الصدقه (أو الزكاة) جعلها الاسلام الركن الثانى من أركانه الأربعة بعد الدخول فيه والنطق بالشهادتين .

وليس اتقاء الشح واجبا فرديا ، بل على الأمم المسلمة القادرة أن تنهض باعانة الأمم الاسلامية الضعيفة ، بل وكذلك الأمم غير المسلمة واتخاذ ذلك فرصة لعرض الاسلام عليها ، بدلا من ترك الميدان خاليا للقساوسة والمحرضين الشيوعيين والصهاينة . أما اذا وجدت الأمم الاسلامية القادرة أن تلك الأمم تأخذ منها المعونات ثم تعطى قلبها وتعضيدها لأعدائها فعندئذ ينبغى أن تقف منها وقفة حازمة ، اذ لايعقل أن أعطى مالى لمن يأخذه ويعادينى ويضربنى به أو على الأقل يتقوى به على ضربى .

وانفاق المال ، وهو المقصود باتقاء الشح ، لايكون فقط بتوفير الطعام والشراب والكساء للجائعين العاريين ، فالحياة ليست طعاما وكساء فحسب ، والانسان ليس مجرد معدة تملأ وجلد يكسى ، بل يوجد الى جانب ذلك الانفاق على حرب العدو وتسديد ديون الدولة اذا وقعت فى ضائقة مالية مثلا (والمهم أن يعرف الشعب من أين أتت هذه الديون ويطمئن الى أنها قد أنفقت فى مصلحة عامة ولم ينهبها النهابون ويفروا بها) وبناء المستشفيات ودور العلم والعبادة ، وغير ذلك من مصالح العباد والبلاد .

وقول الرسول الكريم " فان الشح أهلك من كان قبلكم " اشارة، فيما هو واضح ، الى الثورات والتلاقل الاجتماعيه والانقلابات العسكرية التى تدعى ، صدقا أو كذبا ، أنها انما قامت لانصاف الفقراء من القادرين الظالمين وعدل الميزان الاجتماعى . وهذه الثورات تكلف الأمة تكليفا باهظا ، نحصادها قتل وهتك للأعراض ودمار وتشريد وترويع . وما أخبار قلاقل القرامطة مثلا والزنج فى العالم الاسلامى ، والثورة الفرنسية والانقلاب الشيوعى فى ديار غير المسلمين ، والفظائع والاهوال والزعازع التى جاءت فى ركابها بغائبة عنا . والأفضل أن يعطى الناس من أنفسهم النصفة طوعا من أن تؤخذ منهم عنوة وكرها ويؤخذ منهم معها أضعافها ، وقد تؤخذ حياتهم وحياة ذراريهم أيضا.

ونسبة " الهلاك " الى الشح " هى من قبيل نسبة الشىء لا الى فاعله بل الى المتسبب فيه أو المؤدى اليه . ويسمون هذا " مجازا " . ولما كان " الشح " سببا قويا يؤدى الى هلاك الأمم جعل كأنه هو الذى يهلكها حقيقة ، وذلك للتحذير من أخطاره والتنفير من مغبته . ولك أن تتخيل الشح وقد أمسك سيفا أخذ يحصد به رقاب أفراد الأمة ويهلكهم . الا ترى أنها صورة رهيبة تبعث على الرعب وتحض العاقل على التفكير فى عقابيل الشح والانسلاخ منه ؟

وقد لاحظت أن القرآن لم يسند " الاهلاك " الى معنى من المعانى ، الا مرة واحدة ، وذلك فى قوله تعالى : " وقالوا : ان هى الا حياتنا الدنيا : نموت ونحيا ، ومايهلكنا الا الدهر " (٣٩) . وحتى فى هذه المرة اليتيمة فان الذى أسند ذلك انما هم الكافرون . أما فى الحديث النبوى فقد أسند " الاهلاك " عدة مرات الى " معنى " لا الى شىء مادى ، وذلك مثل :

" انما أهلك من كان قبلكم الفرقة /الاختلاف " (٤٠) .

" انما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم " (٤١) .

" انما أهلك الذين قبلكم أنهم اذا كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ... " (٤٢) .

" اتقوا الشح ، فانه أهلك من كان قبلكم " (٤٣) .

" ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا ... وتهلككم كما أهلكتهم " (٤٤) .

" واياكم والغلو فى الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو " (٤٥) .

كذلك فلم يذكر " الشح " فى القرآن الا مقرونا بالنفس. وهذه هى كل النصوص التى ورد فيها " الشح " لتتبين بنفسك هذه الملاحظة :

" ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " (٤٦) .

" ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " (٤٧) .

" وأحضرت الأنفس الشح " (٤٨) .

أما فى الحديث " فـ " الشح " يذكر عادة دون اقترانه بـ " النفس" ، كما هو واضح من النصوص التى أسند فيها الاهلاك الى الشح (وقد مرت قبل أسطر) ، وكذلك فى غيرها من النصوص، مثل :

" شر مافى الرجل شح هالع وجبن خالع " (٤٩) .

" ولايجتمع شح وايمان فى قلب رجل مسلم " (٥٠) .

" ... ولا الناس الا شحا " (٥١).
" حتى اذا رأيت شحا مطاعا ... " (٥٢)

ولعلك لاحظت أنه فى هذه النصوص الأربعة قد ورد " الشح " منكرا ، وهو مالم يحدث فى القرآن اذ ورد فيه دائما بـ " ال " . فهذا فرق آخر بين استعمال القرآن لهذه الكلمة واستعمال الحديث لها .

حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم

ماموقع جملة " حملهم على أن ... " من الاعراب ؟ انها اما أن تكون استئنافية ، واما (وهذا هو الأفضل والذى يتبادر للوهلة الأولى الى الذهن ، لأنه يفسر ما أجمله الرسول عليه السلام فى قوله " أهلك من كان قبلكم ") أن تكون بدلا من قوله " أهلك من كان قبلكم " . وعلى الثانى فهى محل رفع ، لأن الجملة التى هى بدل منها مرفوعة خبرا لـ " ان " .

والذى يقرأ التاريخ يرى أن سفك الدماء واستحلال المحارم ينتشر فى أزمنة الفتن والقلاقل الاجتماعيه والسياسية ، و " الشح " واحد من العوامل المؤدية الى هذه الفتن والقلاقل . ذلك أن الثورات تطلق الغرائز والأحقاد من عقالها وتعشى الضمائر فيتصرف الانسان كالوحش الكاسر الهائج تبلده رؤية الدماء وتسكره أناث النساء المهتوكة أعراضهن . ويقوى هذه النزعة فى نفسه أنه يتصرف بعقلية القطيع ، وأن الدهماء تخرج الى الشوارع دون خوف من يد القانون وبطشه ، اذ أين القانون فى هذه الظروف ؟ انه لاقانون حينئذ الا قانون الشهوات والأحقاد . وليس معنى هذا أننى ألوم الثائرين وحدهم ، بل اللوم الأكبر والأول انما يجب أن ينصب على الذين احتجنوا الأموال وشحوا بها . ومثل هذه الأموال انما يكون أساسها الظلم والنهب والاستغلال . وهل ينتظر الظالم المستغل عدلا ممن ظلمه وسامه السخف والهوان وتركه يتضور جوعا وبردا وهو ينظر اليه ولاتتحرك عاطفة الشفقة بل عاطفة الأخوة الانسانية بل عاطفة الواجب الدينى والحضارى فى قلبه ؟

وتأمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " حملهم على ... " ، وكأن الشح قوى مفتول العضل يحمل الانسان حملا ويضعه فوق سفك الدماء وانتهاك المحارم ، وهذا الشخص المحول لايستطيع أن يعارضه ، بل يكون فى يده كالشىء الذى لاقوة فيه ولا ارادة له . وهذه الصورة توحى بمدى عنفوان العوامل التدميرية آنذاك فى نفوس الناس بحيث لا يتلبثون ليفكروا فى العواقب ، لأنها تجرفهم جرفا .

هذا ، وقد قال الحديث : " سفكوا دماءهم " بدلا من " سفك بضعهم دم بعض" . والذى قاله الحديث أقوى فى التحذير وأبلغ ، لأن المقصود أن خطر الشح لايجعل الناس يسفك بعضهم دماء بعض، بل يسفكون دماء أنفسهم بأنفسهم .

وبالنسبة لـ " سفك الدماء " لاحظت أن القرآن لم يتحدث عنه بلفظ الماضى . أما الأحاديث النبوية الكريمة فقد عبرت عنه بالفعل الماضى مرات :

" من سفك دمه وعقر جواده " (٥٣) .
" وسفك بعضهم دماء بعض" (٥٤) .
" وسفك دم هذا " (٥٥) .

" حملهم على أن سفكوا دماءهم " (٥٦) .

" فانهم قد سفكوا الدم الحرام " (٥٧) .

" حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم " (٥٨) .

كذلك مما يتمايز به القرآن والحديث أن الفعل " استحل " لم يرد فى الأول ، وتكرر وروده فى الثانى . ومن شواهده :

" من أعطى فى صداق امرأة ملء كفيه ... فقد استحل " (٥٩) .

" بما استحللت (استحل) من فرجها " (٦٠) .

" واستحللتم فروجهن بكلمة الله " (٦١) .

" ان الشيطان يستحل الطعام " (٦٢) .

" ولن يستحل البيت الا أهله . فاذا استحلوه ..." (٦٣) .

" ومجلس يستحل فيه فرج حرام " (٦٤) .

" بم تستحل مال أخيك " (٦٥) .

" واستحلال البيت الحرام " (٦٦)

ومثل " استحل " كلمة " المحارم " ومفردها ، فقد تكرر ورودهما فى الحديث ولم يأتيا فى القرآن البته . ومن شواهدهما فى الحديث :

" ومن وقع على ذات محرم فاقتلوه " (٦٧) .

" فرقوا بين كل ذى محرم من المجوس" (٦٨) .

" لاتسافر المرأة فوق ثلاثة أيام الا مع ذى محرم " (٦٩) .

" لايخلون رجل بامرأة الا ذو محرم " (٧٠) .

" من ملك ذا رحم محرم فهو حر " (٧١) .

" وان حمى الله فى أرضه محارمه " (٧٢) .

" والكف عن المحارم والدماء" (٧٣) .

" اتق المحارم تكن أعبد الناس" (٧٤) .

" ... باستحلالهم المحارم والقينات " (٧٥) .

" ما آمن بالقرآن من استحل محارمه " (٧٦) .

" محارم الله " (٧٧) .

" ومن وقوع على المحارم " (٧٨) .

" حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " (٧٩) .

الحديث التاسع

عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى‌الله عليه وسلم قال

" ان الدنيا حلوة خضرة . وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا . واتقوا النساء . فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء "

(من صحيح مسلم)

ان الدنيا حلوة خضرة

الدنيا جميلة جذابة شديدة الاغراء ، ماينكر ذلك الا مكابر . وهاهوذا الرسول عليه الصلاة والسلام يصرح بذلك . وأى تصريح بهذا أكثر من أن يصفها بالحلاوة والخضرة ، أى أنها ليست حلوة فقط ، بل تجمع بين الحلاوة وبين النضارة والشباب والحيوية . فالخضرة تذكر بالربيع وفتوة الطبيعة فيه وزهوره وعطوره . أما هؤلاء الذين يتأففون من الدنيا فهم فى الحقيقة انما يتأففون من أنهم لم يصلوا الى مبتغاهم منها ، كالذى يتقلب على المرأة التى يحبها حبا جما لتمنعها عليه وانشغالها بغيره ، على حين هو فى أعماقه ودخيلة ضميره مدله فى هواها متيم بها ، لكنه الاحباط واليأس والحرمان . وقديما قال المتنبى :-

واذا الشيخ قال : أف ! فما مل حياة ولكن الضعف ملا .

أى أنه حتى الشيخ الهرم الفانى لايمل الحياة ولايضيق بها ، بل يضيق بعجزه عن الاستمتاع بها ونيل مطلوبه منها .

وقد صور القرآن الكريم الدنيا ذات زينة :

" من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ..." (١)

" ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا " (٢) .

وشبهها بالنبات المتكاثف من جراء المطر الهاطل من السماء ، والنبات يجمع بين الجمال والخضرة :

" انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض..." (٣) .

" واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ..." (٤) .

صحيح أن المولى جل جلاله يختم كلا من هذين التشبيهين بأن الدنيا مصيرها الى فناء وانتهاء ، الا أن هذا موضوع آخر . وهو لايلغى حقيقة كون الدنيا ذات زينة وحلاوة واغراء ، بل بالعكس، فان هذا التحذير معناه أن الدنيا من الاغراء والجمال وسبى العقول بحيث ان البشر يعمون عن وجهها الآخر ، ذلك الوجه الذى مفاده أنها فانية مولية وأنها قد تردى وتهلك .

والذى جعل الدنيا حلوة خضرة ذات زينة تسحر وتسبى هو الله سبحانه . ذلك أنه جلت حكمته ركز فى فطرنا حبها والتعلق بها ، فقد ركب فى طباعنا غرائز عدة لابد لها من اشباع عاجل ، وهو مايترتب عليه أننا نجد أنفسنا مدفوعين الى الجرى وراء مايسد جوعنا ويطفىء نيران ظمئنا ويكسو جلودنا ويقيها الحر والبرد ويضفى علينا وسامة وجمالا ويبوئنا المنصب الذى تتطلع اليه الابصار ،

وكذلك نجد أنفسنا متعقلين بالجنس الآخر مشغولين بالتفكير فيه ، عاملين على أن نلفت انتباهه الينا بكل سبيل ، باذلين جهدنا لكسب مودته ورضاه حتى نعثر على النصف الملائم الذى نعتقد أنه يكمل الناقص من حياتنا ... الخ .

وهذه الغرائز ، التى هى سر شعورنا بحلاوة الدنيا وجمالها ، لم تخلق عبثا ، بل خلقت لدفع عجلة الحياة ، اذ لولا غريزة الجنس مثلا لانقرضت الحياة البشرية بموت آدم وحواء . ولولا حاجتنا الى الطعام والشراب والزينة والتميز ، ولولا رغبتنا كذلك فى التفوق والسيادة بل والسيطرة على الآخرين ماكدح كادح ولازرع زارع أو صنع صانع ، ولماقامت الحروب واكتشفت المكتشفات واخترعت المخترعات ، ولا أبدع شاعر شعرا ولا أمسك فنان بريشة ولاغمسها فى لون وأمرها على لوحة ، ولاشيد أحد بناء بل ولا وضع حجرا على حجر .

ان الغرائز هى الطاقة التى لولاها لوقفت الحياة هامدة منذ لحظتها الاولى . وستظل الغرائز كذلك الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا وتبلغ الدنيا نهايتها . وعندئذ لن تكون هناك غرائز ، اذ ستتبدل الحال وتتغير الأوضاع ، ويكفى أهل الجنة رغائبهم ويوهبون الخلود . اما أصحاب النار فانهم يصلون من لهيبها وحريقها ألوانا من العذاب يتمنون معه أن يكونوا عدما وترابا . ولن يكون هنا أو هناك تناسل ولاسعى وراء المعاش .

قلت ان الغرائز هى الطاقة التى لولاها لوقفت الحياة هامدة منذ اللحظة الأولى ، وانها هى سر شعورنا بحلاوة الدنيا وجمالها . وهذا حق ، والدليل على ذلك أن احساس الفرد منا بحلاوة الحياة يقل بل ينعدم ويتحول نفورا منها واشمئزازا اذا أشبعت حاجته منها . ان الانسان لايطيق أن تذكر أمامه سيرة الطعام او أن يفكر فيه عند قيامه عن المائدة بعد ملء بطنه وشعوره بالشبع . أما عندما يكون جائعا فان ذكر الطعام أمامه بله رؤيته يدير رأسه ويجعل ريقه يتحلب ، بل يصبح محور اهتمامه وتفكيره وربما محور وجوده ذاته . وهكذا الحال مع الماء أثناء العطش وبعد الارتواء ، وكذلك مع بقية الرغبات والشهوات ،حتى شهوة الجنس نفسها التى يظن الانسان فى شبابه العارم أنه بعد أن يتزوج فلن يشبع منها فضلا عن أن يملها ، ثم يفاجأ بعد مرور فترة من عثوره على رفيقة حياته أن هذه الشهوة يسرى عليها ذلك القانون الألهى : قانون الرغبة العنيفة قبل الاشباع ، وخفوتها بل وتحولها الى نفور بعد الاشباع . الا المال ، فان له فيما يبدو وضعا آخر ، اذ لايكاد يوجد انسان يشبع منه ، وهو ما أشار اليه القرآن الكريم والحديث النبوى المطهر . ومع ذلك فان الحاجات التى يحققها المال لاتظل لها جاذبيتها طول الوقت ، اذ هى لاتخرج عن الطعام والشراب والجنس والفضول (الذى يتحقق اشباعه عن طريق الكتب والرحلات وغير ذلك) ... الى آخر الغرائز البشرية .

وينبغى أن نعرف أن مشبعات هذه الغرائز أمر نسبى ، أى يتفاوت بتفاوت المخلوقات ، فما ينفر منه جنس من الكائنات ولايطيقه قد يكون مصدر اغراء رهيب بالنسبة لجنس آخر . ان الديدان مثلا والذباب يجدان لذة عارمة فى الجيف والفضلات البشرية ، والماء الذى لايستطيع البشر البقاء تحته أكثر من دقائق معدودات على أطول تقدير ويخشونه من ثمة ويقترن فى تفكيرهم وخيالهم بالموت الزؤام هو هو نفسه الذى يعيش فيه السمك وغيره من مخلوقات البحر . أقصد أن الرغبة فى الخلود والتمسك بالحياة والحرص عليها تدفع الانسان الى الخوف من البحر ، وهى ذاتها التى تدفع السمك الى البقاء فيه وعدم الخروج منه . انها النسبية ، حتى فى غريزة حب الحياة . وهذه النسبية هى

أيضا دليل على أن الغرائز هى السر فى شعور بالحلاوة والرغبة فيها والتمسك والاستزادة منها .
و " خضرة " (بفتح فكسر) معناها " خضراء " ، من " خضر يخضر خضرا وخضرة " ، فهو " أخضر " و " خضر " .

وكعادتنا نقف هنا قليلا لننص على الفروق الاسلوبية بين القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فى استعمال كلمة " الدنيا " . واليك الملاحظات التى خرجت بها من المقارنة بينهما فى هذه النقطة :

١- لم يحدث أن استخدم القرآن الكريم فى أى موضع منه كلمة " دنيا " منكرة ، على حين ورد ذلك فى بعض الأحاديث ، مثل :

" لا ، وربك لا أسألهم عن دنيا " (٥) .

" أن يشار اليه بالأصابع فى دين أو دنيا " (٦).

" ... شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة " (٧) .

" فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها ... " (٨) .

٢- لم يحدث فى القرآن أن أخبر عن الحياة الدنيا .(سواء كانت متبدأ أو اسما لناسخ) الا بصيغة القصر : بـ " ما ... الا ... " أو " انما " :

" وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور " (٩) .

" وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع " (١٠) .

" وماهذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب " (١١) .

" ياقوم ، انما هذه الحياة الدنيا متاع " (١٢) .

" انما الحياة الدنيا لعب ولهو " (١٣) .

" اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد" (١٤) .

أما فى الأحاديث النبوية المشرفة فكثيرا ما أخبر عن الدنيا بغير صيغتى القصر ،مثل :

" الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " (١٥) .

" الدنيا دار من لا دار له " (١٦) .

" الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا ... " (١٧) .

" ومن كانت الدنيا همه ... " (١٨) .

" الدنيا أهون على الله ... من هذا " (١٩) .

" لو كانت الدنيا تعدل عند الله ... " (٢٠) .

٣- لم تأت الدنيا فى القرآن مضافة قط ، على عكس الحديث النبوى الشريف ، مثل :

" فتذهب دنياك وآخرتك " (٢١) .

" أذهب آخرته بدنيا غيره " (٢٢) .

" ... المؤمن الذى يهتم بأمر دنياه وأمر آخرته " (٢٣) .

" ... كفاه الله هم دنياه " (٢٤) .

" يجمعن لك خير دنياك وآخرتك " (٢٥) .

" ... أمر دنياكم ... " (٢٦) .

" مالوا على بدنياهم " (٢٧) .

" رجل بايع اماما لايبايعه الا لدنياه ... " (٢٨) .

" من أحب دنياه أضر بآخرته ... أضر بدنياه " (٢٩) .

" ... ويرث دنياكم شراركم " (٣٠) .

كذلك لم ترد فى القرآن البتة كلمة " حلو " (ولا كلمة " حلاوة " أيضا) . أما فى الحديث النبوى الكريم فقد ورد ذلك . وهذه أمثلة على مانقول :

" ان هذا المال خضر حلو " (٣١) .

" التمرة لاريح لها وطعمها حلو " (٣٢) .

" بالأقدار كلها : خيرها وشرها ، وحلوها ومرها " (٣٣) .

" حلوة الدنيا مرة الآخرة ، ومرة الدنيا حلوة الآخرة " (٣٤) .

" ... فالقرآن حلاوة تنطف " (٣٥) .

" ... أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها " (٣٦) .

وان الله مستخلفكم فيها

" استخلفه : جعله خليفة له " .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا المعنى ، وذلك فى قوله تعالى : " واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة " (٣٧) ، وقوله سبحانه : " وهو الذى جعلكم خلائف الأرض" (٣٨) ، وقوله عز شانه : " هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض" (٣٩) ، وقوله جل جلاله : " أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ " (٤٠) .

واستخلاف الله للبشر معناه أنه سبحانه قد وكل اليهم عمارتها والقيام على شئونها . انه سبحانه وتعالى قد خلق الأرض(والكون كله) ، وخلق آدم على صورته . وليس المقصود أن الانسان يشبه الله بشكله وملامحه ، كلا وحاشا ، فالله ليس كمثله شيء. انما المقصود فيما أفهم أنه كما أن الله عليم ومريد وقادر مثلا فان للانسان علما وارادة وقدرة ، وهكذا ... على أنه ينبغى أن نفهم أن علم الله وارادته وقدرته هى صفات مطلقة ، أما صفات البشر فهى نسبية ومحددة . كذلك فصفات الله سبحانه ثابته له لاتتحول عنه ، أما الانسان فيعتريه الضعف كما تعتريه القوة ، والعجز كما يعتريه القدرة ، والجهل كما يعتريه العلم ، وهلم جرا . وايضا فان صفات الانسان عارية ، اذ هى ليست من صنعه بل موهوبة له من الله عز وجل ، كما أنه لا يمكنه الاحتفاظ بها اذا أراد الله استردادها منه . أما صفات المولى فهى ذاتية أصيلة .

وبهذا القدر من القدرة والارادة والقوة والعلم وغيرها من الصفات (رغم ضآلة هذاالقدر) استحق الانسان أن يكون خليفةلله سبحانه فى الأرض(وفى كل مكان يصل اليه ويستوطنه) ، فالله جل وعلا قد خلق الكون (بمافيه الأرض) بقدرته وارادته وعلمه ، وهو سبحانه يقوم على أمر مخلوقاته ولايدعها لنفسها طرفة عين والا هلكت وبادت ولم يعد لها من أثر ، والانسان يمضى فى ذات الاتجاه بمقدار ماوهب من قدرات وصفات فيبدع ويصنع ويبنى ويجمل ، وان كان فى ذات الوقت يخطىء ويفسد فلا يحسن أحيانا الاضطلاع باعباء تلك الخلافة فيهدم ويدمر ويقتل ويسفك الدماء ، كما أشارت الملائكة حين أخبرها ربنا بأنه جاعل فى الأرض خليفة .

قلت ان القدر الذى منحه الانسان من العلم وارادة والقوة والقدرة ... الخ هو قدر ضئيل ومحدود ، ومع ذلك فانظر الى نتاجه . انه نتاج هائل . انه هذه الحضارات البشرية التى تعاقبت على مدار التاريخ . ويكفى أن نتأمل الحضارة الراهنة وحدها ومافيها من منجزات . انه شيء يدير العقل . وهذا كله من فضل الله على عباده ورحمته بهم وتكريمه اياهم وخلقه لهم على صورته عز وجل .

فينظر كيف تعملون

أتصلحون أم تفسدون ؟ أتبنون أم تهدمون ؟ أتطيعون أم تعصون ؟ باختصار : أتحسنون الخلافة فى الأرض أم تسيئون ؟ فان أحسنتم فلكم الحسنى ، وان أسأتم فعلى أنفسكم ، اذ ليست حياة البشر عبثا ، بل هى مسئولية كبيرة سوف يحاسبون على نجاحهم فيها أو فشلهم . وسوف يكون الحساب فرديا وجماعيا معا . وأمة المسلمين ليست بدعا بين الأمم ولا استثناء ، بل يجرى عليها هنا فى الدنيا وكذلك فى الآخرة مايجرى على الأمم الأخرى . واذا كان المولى قد فضلها على غيرها من الأمم فبمقدار ما تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله ، وتقيم العدل ، وتعمر الأرض، وتبنى الحضارة ، وتتعاون على البر والخير ، وتبتغى فى كل ما تأتى وتدع وجه الله .

والفعل " نظر " معناه هنا " رأى " . وهذا الفعل يتعدى بحرف جر : بـ " الى " عادة . وقد يتعدى بـ " في " ، كقوله تعالى : " فنظر نظرة في النجوم "(٤١) ، وقوله جل جلاله : " أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض ؟" (٤٢)

والملاحظ من استقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا الفعل أنه لايدخل عليه حرف جر اذا أتى بعده استفهام . وهذه بعض الشواهد :

" ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون " (٤٣) .

" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم " (٤٤) .

" فلينظر أيها أزكى طعاما " (٤٥) .

" قال : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين " (٤٦)

" ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لايهتدون " (٤٧) .

" والأمر اليك ، فانظري ماذا تأمرين " (٤٨) .

" يابني اني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى " (٤٩) .

" فلينظر الانسان مم خلق " (٥٠) .

ومع ذلك فقد ورد هذا الفعل أحيانا متعديا بنفسه في القرآن دون أن يكون بعده استفهام ، قال تعالى :

" ولتنظر نفس ماقدمت لغد " (٥١) .

" يوم ينظر المرء ماقدمت يداه "(٥٢) .

" لاتقولوا : راعنا ، وقولوا : انظرنا " (٥٣) .

" ولو أنهم قالوا : سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم "(٥٤) .

ومن الواضح أن هذا الفعل في حالة تعديه بنفسه (سواء أتى بعده استفهام أو لا) يكون معناه " رأى " .

والآن الى اعراب جملة " كيف تعملون " وهي مفعول به للفعل " ينظر " ، الذي تعدى في الحديث الشريف بنفسه . والمعنى " فينظر كيفية عملكم " ، وليس كما قال الشيخ الصابوني : " ينظر عملكم وينظر صنيعكم " ، لأن الكلام هنا عن كيفية العمل لا عن العمل ، والا لقال صلى الله عليه وسلم :" فينظر ماذا تعملون " . أما وقد قال : " فينظر كيف تعملون " فان اسم الاستفهام " كيف " قد دل على أن المراد الكيفية . وهذا من الوضوح بحيث لايحتمل الا ذلك التوجيه .

وقد ورد في القرآن المجيد قوله عز شأنه خطابا من موسى عليه السلام لبني اسرائيل:" قال (أي موسى) : عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون " (٥٥) . وهو نفس المعنى الذي خاطب به الرسول عليه السلام أمته ونفس الألفاظ تقريبا .

فاتقوا الدنيا

أعرب الشيخ محمد على الصابوني هذه الفاء التي تتصدر الجملة على أنها " الفاء الفصيحة " . وهذا هو نص كلامه :" فاتقوا الدنيا : الفاء هنا تسمى " فاء الفصيحة " . والمعنى : اذا كان الله مراقبا لعملكم ومطلعا على صنيعكم فاتقوه في ذلك " (٥٦) . و" الفاء الفصيحة " هي الفاء التي تعطف على محذوف ، كما في قوله تعالى :" اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا "

(٥٧) ، والتقدير : فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم " (٥٨) • فهل هذا التعريف يصدق على الفاء التى نحن بصددها ؟ كلا • وانما هذه الفاء تدل على السببية ، أى " مادام الله سينظر كيف تعملون فاتقوه " ، فحساب الله تعالى لعباده يقتضى أن يعملوا حساب ذلك فيتقوه سبحانه ويخافوا لقاءه •

واتقاء الدنيا معناه أن يجعل الانسان بينه وبينها مايقيه منها ، لأنه اذا غفل الانسان عن أخطارها فانها توقعه فى المعاطب والمهالك • كيف لا ، واغرازها بالعصيان شديد ؟

لقد قلنا ان الغرائز هى الطاقة التى تدفع بعجلة الحياة الى الامام ، ولكن هذه الغرائز لاعقل لها ولا كابح يوقفها عند حد الاعتدال • صحيح أن الانسان بعد أن يشبع احدى غرائزه فانه لايعود يفكر فيها • لكن الأمر لايستمر هكذا ، بل سرعان مايذهب الاحساس بالاشباع ويرجع عواء الغريزة أعنف مايكون ، وهكذا دواليك • وأوقات الاحساس بالرغبة أكثر واطول من أوقات الاحساس بالشبع • وتطلع الانسان لايقف عند حد •واشباع الغريزة هو كشرب الماء الملح ، يزيد العطشان عطشا (رغم الاحساس المؤقت بالشبع كما قلنا) •

لقد سبق أن ذكرنا أن الغريزة لاعقل لها ولا كابح يوقفها عند حد الاعتدال ، بيد أن للانسان نفسه عقلا يستطيع أن يكبح ويوقف • والدين والخلق القويم والعرف النظيف والتربية الصالحة والبيئة السليمة المستقيمة ، كل هذه عوامل من شانها أن تعضد عمل العقل وتقوى أثره • ونحب أن نؤكد هنا أن الاسلام لايحارب الغرائز ولايقف فى وجه اروائها ، وانما هو ضد الانسياق وراءها الى آخر المدى ان كان لمداها آخر •

والذين يتعبدون لغرائزهم وشهواتهم قد يرون أن تدخل الاسلام حتى على هذا النحو هو أمر غير مفهوم ولامقبول ، ذلك أن الغريزة تمثل لهم اللذة ، والاسلام يمثل الحرمان ، الذى هو ألم • غير أن الاسلام ليس هو وحده الذى يقف من الغرائز هذا الموقف ، فكثير من الفلاسفة والحكماء يرون هذا الرأى • والذى يتعمق فى دراسة هذه المسألة يعرف أن كل لذة مصيرها الى زوال ، وأن اشباعها اذا لم يتحقق فى ظل الاعتدال والاستقامة الخلقيه غالبا مايؤدى الى آلام ومتاعب من كل نوع لا ألم واحد • والذين يدرسون تاريخ المجتمعات ونشوء الحضارات وانهيارها يعلمون جيدا أن الخضوع للشهوات يفت فى عضد المجتمع ويسرع به الى مهاوى الضعف والتفكك والهزيمة • على أن هناك فرقا بين قول الفلاسفة والحكماء وبين قول الاسلام ، فالاسلام لايكتفى مثلهم بهذا ، بل يذكر لنا أن هناك تعويضا عن لذائذ الدنيا الفانية ، وهو الجنة ونعيمها•

خلاصة القول ان الاسلام لاينفر من الدنيا ، ولكن يحذر من أن يسيطر حبها على الانسان الى الحد الذى لايعبأ عنده بالقيم الخلقيه التى لاغنى لأى مجتمع عنها ، بل ولايستطيع الفرد ذاته أن يحصل على السعادة وراحة البال بدونها • ان مبدأ " أنا وحدى ، ومن بعدى الطوفان " ، وهو لسان حال كل ناشد للذة لايفكر الا فى نفسه وغرائزه ، هو مبدأ خطير ، وصاحبه لابد أن يشقى به عاجلا أو آجلا ، لان أى انسان لايمكنه أن يستغنى عن الناس• فاذا أسقطهم من حسابه ومضى لايلوى على شىء باحثا فقط عن لذاته واشباع غرائزه غير واقف فى ذلك عند حد أسقطوه بدورهم من حسابهم، ولم يسعفوه عند حاجته اليهم ، وحاجة الناس بعضهم لبعض لاتنتهى ولاتحد • فهل يمكن أن تستمر حياة أى انسان على هذا النحو ؟ ومن الواضح أن صحة الفرد النفسية وسكينته الروحيه لاتتحق عن طريق الاغراق فى الملذات ، بل فى الموازنة بينها وبين القيم الخلقية الرفيعة •

وهذه الموازنة هي التي قصدها رسولنا الكريم عندما قال : " فاتقوا الدنيا " . انه عليه السلام لايريد لامته أن تولى ظهرها للدنيا ، فهو يعلم أن هذا مستحيل ، علاوة على أنه ضار ، ولكنه يريد لها التوازن والاعتدال .

واتقوا النساء

النساء لسن شرا ، بل بشر من البشر مثل الرجال تماما . والاسلام لم يضع من شأن المرأة ، بل أعلى مقامها وكرمها أعظم تكريم . وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام فى ذلك واضحة لا لبس فيها ، فقد جعلت الجنة تحت أقدام الأمهات ، ونصت على أن أحق الناس بصحبة الانسان انما هى أمه (كررها الرسول عليه السلام ثلاث مرات ، قبل أن يذكر الأب فى المرة الرابعة ، أى أن الأم فى هذا تشغل المراتب الثلاث الأولى وحدها) . كما جعلت الجنة جزاء من يحسن تربية ابنته ، وأمرت بالرفق بهن والصبر عليهن واتقاء الله فيهن والاستيصاء خيرا بهن . وللرسول عليه السلام فى الكلام عنهن أشياء فى غاية الرقة والحنان ، فهن قوارير ، وهن شقائق الرجال ... وهكذا . وقد كان كثير من الجاهليين يعدون المرأة عارا ، كما كانت النصرانية تحسبها رجسا من الشيطان . أما الاسلام فانه يسوى بيها وبين الرجل فى المسئوليه الأخلاقية وفى فرائض الدين . واذا كان قد جعل شهادتها نصف شهادة الرجل فذلك لما يعتريها من الضعف والنسيان ، لا لسبب آخر يحط من شأنها . أما أنها ترث نصف مايرث الرجل فلأنها معفاة من الانفاق فى البيت ، فنصيبها اذن من الناحية النسبية أكبر من نصيب الرجل ، لأنها تستقل به ، علاوة على أن الرجل (زوجا أو أبا ...) مكلف بالانفاق عليها . أما هو فلا يستقل بنصيبه ، بل ينفق منه على نفسه وعلى غيره . ولا ننس أن الاسلام قد فرض لها مهرا ، وهو مالم يفرضه للرجل ... وهكذا .

واذا كان الأمر كذلك ولم تكن النساء شرا فلماذا أمرنا الرسول باتقائهن ؟ فكيف نتقيهن ؟ ان المراد هو التحذير من الانسياق وراء شهوة الجنس . ان المسلم عليه اذا بلغ وقدر على تكاليف الزواج أن يبادر اليه . فلو كانت المرأة شرا ماحض الاسلام المسلم على الزواج ، فضلا عن أن يوجب عليه اعطاء المرأة مهرا ، فضلا عن أن يفرض عليه أن يجعل الزواج بمرأى ومسمع من الناس ، فضلا عن أن يبين أن فى اتصاله الجنسى بامرأته أجرا ، وهو ما أثار دهشة الصحابة ، الذين من الواضح أن هذا الموقف العظيم للاسلام من شهوة الجنس كان جديدا تماما عليهم . أى أن اتقاء النساء هنا هو اتقاء الزنا . أما المرأة فهى مباحة للرجل زوجة تشبع رغباته ويشبع رغباتها ويتعاونان معا على اقامة بيت يسوده الحب والتفاهم ويترعرع فى ظلاله الأبناء الذين يمثلون المستقبل والأمل .

ان الزنا اذا فشا فى أمة جر وراءه كثيرا من العلل الجسدية والاجتماعية والأخلاقية التى لاتزال تلح على كيانها حتى تحيله من بعد قوة أنقاضا . وربما لم يبد الأمر هكذا فى البداية ، لأن عمل هذه العلل يستغرق وقتا قبل أن يؤتى أكله المردى ، وهو يتم فى الخفاء ثم بعد فترة تبدأ آثار هذه الثمار السامة فى الظهور ، ويشرع المجتمع فى التداعى والتهالك . وقد ينخدع بعض ذوى النظر السطحى بحال المجتمعات الغربية فى أوربا وأمريكا ، فان الزنا منتشر فى تلك المجتمعات ، ومع ذلك تبدو قوية جلدة ، ويدها فى صراعنا معها هى اليد الطولى . ولكن فات هؤلاء أن آثار هذه العلل لاتظهر بين عشية وضحاها كما سلف القول . كما فاتهم أن للدول الغربية الكلمة العليا معنا لأننا متخاذلون متفرقون متعادون ، قد تفصينا من عرى ديننا الحنيف ، واستسلمنا للشهوات مثلهم وأصبحنا

نحرص على الدنيا أشد منهم ، وفى ذات الوقت فاننا عارون عن فضائلهم وحسناتهم ، هذه الفضائل والحسنات التى تجعل مفعول علل الزنا وغيره فيهم بطيئا . ولانكران أن للغربيين فضائل خلقية ونفسية واجتماعية ، كالجرأة على المجهول ، والارادة القوية ، وطول النفس والصبر على لأولاء الحياة ، والمنهج العلمى فى معالجة شؤون الطبيعة والمجتمع ، وحب الوطن ، والتكاتف فى وجه الحياة ومشاكلها وفى وجه الأعداء ، والقدرة على التضحية فى سبيل الوطن والأمة ، وحب العلم والثقافة ... الخ . وأين نحن من هذا كله ؟ اننا لو اعتصمنا بديننا واستمسكنا بمبادئه العظيمة لحزنا فضائل الغربيين ولكن بشكل أنقى وأدوم مع تجنب عيوبهم ومخازيهم ، وأضفنا الى تلك الفضائل ماليس عندهم من الايمان بالله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، ذلك الايمان الذى يقهر كل صعب ويذلل مايبدو لنا مستحيلا اليوم بسبب ضعفنا وتفتتنا ، وينصرنا على أعدائنا ويعيد العزة المفقودة الى نفوسنا فترتفع هاماتنا الى السماء بعد طول تنكيس وذلة . ولكن متى ؟ هذا هو السؤال الذى حير الألباب ودوخ المصلحين .

فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء

ليس هنا محل البحث فى هذه النقطة من الناحية التاريخية ، لكن المعروف عن اليهود أنهم لايغارون على أعراضهم ، بل انهم لايشعرون بأدنى قدر من الاستنكاف ، فى سبيل احتيال مصلحة ما يمين استخدام زوجاتهم وبناتهم شصا لهذا الغرض . والمرأة اليهودية من جهتها لاتجد فى ذلك أقل غضاضة . والذى يعود الى كتاب بنى اسرائيل المقدس يجد عجبا ، فالزنا فيه أمر عادى ، وهو ينسبونه (عليهم لعائن الله) الى الأنبياء الكرام كلوط عليه السلام ، الذى تزعم أسفارهم الدينية المسماة بالعهد القديم أن بنتيه قد سقتاه خمرا حتى سكر ثم نامتا معه الواحدة بعد الأخرى وحبلتا منه ، وكداود عليه السلام ، الذى ادعوا عليه أنه زنى بامرأة أحد كبار قواده فى الوقت الذى كان هذا القائد غائبا فى جبهة القتال . ثم لم يكتف داود ، على زعمهم النجس، بذلك بل تآمر على الزوج المسكين حتى تخلص منه وتزوج بامراته . وهناك " نشيد الأناشيد " ، وهو منسوب لسيدنا سليمان عليه السلام ، وهو النبى ابن النبى . وهو سفر كله عهر وفحش. ولا أحد يجهل الآن ماجاء فى بروتوكولات حكماء صهيون من استخدام الجنس والنساء أداة لتدمير أخلاق الشعوب ليسهل عليهم بعد ذلك السيطرة على العالم فيما يؤملون ويظنون ، أخزاهم الله ! وعبث الأصابع اليهودية فى صناعة السينما عن طريق العرى وتجميل الاباحية الجنسية والالحاح عليها واضح يعلمه كل دارس لتاريخ هذا الفن . ثم لاننس فرويد ، وكيف أنه عزا كل شىء تقريبا فى حياة البشر الى تأثير الجنس ، كأنه لاهم للانسان الا المرأة واشتهاؤها . حتى الأطفال الرضع أرجع فرويد تصرفاتهم وحركاتهم الى هذه الشهوة . ان غرائز الانسان متعددة ، ولايظهر تأثير غريزة الجنس الا فى فترة متأخرة نسبيا ، بخلاف غرائز الطعام والشراب وحب المال والحفاظ على الذات وتأكيدها والحاجة الى الجو الأسرى وما الى ذلك . ومع هذا فان فرويد يعمى عن هذا كله ولايرى الا شهوة الجنس. وقد نشرت صحيفة " الشعب " المصرية المعارضة منذ وقت ليس بالبعيد عدة تحقيقات عن البغايا الصهيونيات اللاتى يسوقهن بعض الحاخامات اليهود الى شبه جزيرة سيناء لاصطياد الشباب المصرى وتجنيده عن طريق شهوة الفرج للعمالة لاسرائيل وتدمير مناعته الأخلاقية ورجولته الوطنية ونزعته الدينية .

الحديث العاشر

عن عمرو بن عوف الانصارى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار ذات يوم .

" ابشروا وأملوا مايسركم . فوالله ما الفقر اخشى عليكم . ولكنى اخشى ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم . فتنافسوها كما تنافسوها . فتهلككم كما اهلكتهم "

(متفق عليه)

ابشروا

" أَبْشَرَ يُبْشِرُ إِبْشَارًا" أى " سُرَّ " ، فهو فعل لازم بهذا المعنى ومتعديه " بشَّرَ يُبَشِّرُ تبشيرا " ، بمعنى " فرحه وبلغه البشرى " . على أن " أَبْشَرَ " قد يستعمل متعديا أيضا مكان " بشَّرَ " ولكن الشائع هو استعماله لازما . ويأتى بمعناه أيضا فى حالة لزومه الصيغ التالية (من نفس المادة) : " بَشَرَ يَبْشِرُ " ، و " بَشِرَ يَبْشَرُ " و " استبشر يستبشر " . وكل ذلك مأخوذ من البشارة " و " البشرى " وهى " الخبر المفرح "

-- يطمئن الرسول عليه الصلاة والسلام الانصار بأنهم سيحصلون على مايريدون . وكانت جزية أهل البحرين قد وصلت المدينة ، فلما كانت صلاة الفجر صلاها الانصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندما قضيت الصلاة تعرضوا له عليه السلام ، فتبسم صلى الله عليه وسلم، وبشرهم أنهم سينالون مايسرهم ويرضيهم .

وليس يطعن فى ايمان الأنصار تعرضهم له عليه السلام ليعطيهم من مال الجزية الذى وصل المدينة .فليس حب المال عيبا ، اذ هو غريزة مغروسة فى أعماق البشر جميعا . والاسلام لايعيب أحدا لحبه المال . وقد وصف القرآن الكريم بأن من البر أن يؤتى المؤمن المال (أى ينفقه على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب) وهو يحبه (١) . وجاء فى وصف الأبرار فيه أيضا الى جانب وفائهم بالنذر أنهم يطعمون الطعام على حبه المساكين واليتامى والأسرى (٢). ومعنى هذا أن حب المؤمنين للمال ليس فيه مايعاب . انما العيب هو أن يستعبد الانسان الدنيا والدرهم ، فلا يعود يفكر فى شىء سواهما ، فتنطمس من ثمة معانى الخير من نفسه وتغيض الرحمة من قلبه ، ولايبالى من أى سبيل اكتسبه . وقد دعا الرسول الكريم على عبد الدينار والدرهم بالتعاسة والانتكاس والتنغيص .

قلت ان حب المال مغروز فى طبيعة البشر ، وهذا صحيح . وخالق البشرية نفسه سبحانه يقول : " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث "(٣) ، ويقول : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " (٤) ، ويقول : " وانه (أى الانسان) لحب الخير لشديد " (٥) ، والخير هنا هو المال .

وقد غرز الله حب المال فى الانسان ليكون دافعا له الى الجد والعمل والانتاج ، اذ المال لايهبط من السماء ، وانما هو ثمرة السعى الانسانى . حتى الذين يرثونه أو يعثرون عليه فى الطريق أو يسرقونه أو يختلسونه ... الخ لم يكن ليمكنهم الحصول عليه لولا أن صاحبه الأصلى قد بذل

جهده واشتغل وأنتج فحصل عليه • ومن هنا يقال : ان المال هو عصب الحياة • والمقصود أنه ترجمة عن العمل ، ولاحياة ولاحضارة ولاعزة ولامتعةالا بالعمل والانتاج • كذلك فلا يمكن للانسان أن يمشى خطوة واحدة من غير أن يدفع فى مقابلها مالا ، فان المشى يحتاج الى طاقة ، والطاقة مصدرها الطعام والشراب والملبس، وهذا كله لايمكن الحصول عليه الا بمال • واذا مرض الانسان فهو يحتاج الى طبيب ودواء ، وهذان لابد لهما من مال • والانسان بحاجة الى علم وثقافة ، أى مدارس وجامعات وكتب وووسائل تعليمية ، ولاشىء من هذا الا بمال • وهو لايستغنى عن التنقل ، ووسيلة الانتقال : سواء كانت دابة أو عربة أو قطارا أو طائرة أو باخرة ، لابد من مال لشرائها أو استئجارها • وعندما يكبر الانسان يهفو الى الزواج ، والزواج يستلزم مهرا وتأثيث بيت ونفقة اضافية للزوجة والأولاد ، وهذا كله يستلزم مالا • وحتى عندما يموت الانسان فانه يحتاج الى نفقات تكفين ودفن ، ولاشىء من ذلك الا ويقتضى مالا ••• وهلم جرا • ارأيت كيف أن المال عصب الحياة ؟

وحتى الزاهدون لايمكنهم الاستغناء عن المال • كل ماهنالك أن حاجتهم اليه أقل من حاجة غيرهم • على أن الزهد وان ناسب حياة بعض الأفراد فانه لايناسب حياة الأمة جميعها ، اذ الدنيا فى بعض جوانبها صراع بين الأمم والدول • ومهما جنحت الأمة الى السلم فان غيرها من الأمم لن تتركها وشأنها ، بل لابد أن تحتك بها وتعتدى عليها وتحتلها وتستذلها وتنهب ثرواتها عاجلا أو آجلا • ولايمكن لأمة أن تحتفظ ، مجرد احتفاظ ، باستقلالها الا بالمال ، أى بالاقتصاد القوى والعمل والانتاج بشتى أنواعه المتاحة لها• فالاستقلال يلزمه قوة ، والقوة هى قوة علمية أو اقتصادية أو عسكرية ••• الخ •

وما من قوة يمكن تحصيلها أو الحفاظ عليها بدون مال • ونظرة سريعة الى الجيوش وما تتطلبه من طعام للجنود وملابس ووسائل انتقال ومساكن ومرتبات ، ومن أسلحة وعتاد ، ومن دعاية وتوجيه معنوى ، ترينا كيف أن المال مهم مهم مهم • (لا أحب أن يفوتنى التنبيه الى أننى أتكلم هنا عن القوة المادية فى الحرب • وطبيعى أن القوة المادية وحدها لاتكفى ، بل لابد لها من القوة الروحية والأخلاقية • لكن القوة المعنوية هى أيضا لاتؤتى ثمرتها الا اذا ضافرتها القوة المادية والاقتصادية • ثم ان قوة روحية لاتؤدى الى قوة مادية وعمل وانتاج هى قوة مشكوك فيها ، قوة زائفة ، لأن من صميم القيم الأخلاقية والروحية قيمة العمل •• العمل الصالح ، والعزة ، والكرامة ، وعدم قبول الضيم • وهذا اما يؤدى الى الحصول على المال واما لابد له من المال)•

المال اذن مهم جدا جدا • والذين يذمونه يقفون عند سطوح الأشياء • صحيح أن المال قد يؤدى الى الغرور والكبر والطغيان ، لكن لو تعمقنا فى الأمر قليلا لوجدنا أن المال عنصر محايد فهو لايأمر صاحبه بشىء من ذلك ولايوسوس له بشر ، اذ هو جماد لايعقل ولايتكلم • انما الذى يوسوس ويطغى ويفسد هو الشيطان • وهو لايستطيع أن يفعل شيئا من هذا الا اذا استجاب الانسان له • فالمسئول اذن عن الطغيان والكبر والغرور والكفران انما هو الانسان فى الحقيقة • وكم من صاحب مال عريض وجاه واسع هو متواضع الجانب لين الجناح ، يعطف على المحتاجين ، ويبذل من ماله وحبه وعطفه مايقيلهم من عثارهم ويمسح على جراحات نفوسهم ويحفظ كرامتهم ويرد الأمل والبشر عليهم •

والأمم الاسلامية هى فى مجملها أمم فقيرة ، ولابد لها من العمل المتواصل المضنى لتعوض مافاتها طيلة القرون الماضية ، وتطفو الى سطح الحياة ، ولتتخلص من تبعيتها لأمم الكفر والطغيان

، ولتستنقذ ماالايزال سليبا من بلادها كفلسطين وارتريا وكشمير ، وليعيش أفرادها كما يعيش الآدميون ، فيسكنوا فى بيوت رحبة نظيفة تتمتع بالمرافق الصحية ، ويلبسوا الملابس الأنيقة لا الأسمال البالية التى هى عنوان الذل والهوان ، ويأكلوا من الأطعمة ماتحتاج اليه أجسادهم لتنمو وتصح ، ويتعلموا ويتخلصوا من ظلام الجهل وغبائه ، ويجدوا من سكينة النفس مايحسون معه حلاوة الحياة ويتذوقوا نعمتها بدلا من الانشغال الدائم بلقمة الخبز ، هذا الانشغال المذل والمكبل لطاقات العقل فى كثير من الأحيان تكبيلا يطمس المواهب .

وبالنسبة للفعل " أبشر يبشر " ، فلم يأت فى القرآن الكريم الا مرة واحدة ، وذلك فى قوله تعالى : " وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون " (٦) . أما فى الأحاديث النبوية فقد تكرر ذلك . واليك بعض شواهده :

" أبشر ، ان الله ... يقول : نارى أسلطها ... " (٧) .
" أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك " (٨) .
" فسرى عن رسول الله فقال : أبشر ياهلال "(٩) .
" أبشر بروح وريحان ، ورب غير غضبان " (١٠) .
" أبشرى ياعائشة ، فقد أنزل الله براءتك " (١١) .
" أبشروا . ان من نعمة الله عليكم أنه ... " (١٢) .
" أبشروا وبشروا من وراءكم " (١٣) .
" يابنى تميم ، أبشروا (١٤) .
" فأبشروا وأملوا مايسركم " (١٥) .
" فسددوا وقاربوا وأبشروا " (١٦) .
" اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة " (١٧).

والملاحظ أن " الابشار " فى المرة الوحيدة التى ورد فيها فى القرآن هو ابشار خاص بأمل الجنة فى الحياة الأخرى ، أما فى الأحاديث فـ " الابشار " فى الأغلبية الساحقة خاص بأمور الدنيا . وهذا هو فرق آخر شديد الأهمية .

وأملوا مايسركم

" أَمَّلَ يُؤَمِّلُ تأميلا " هو المزيد المضعف من الثلاثى : " أَمَلَ يَأْمُلُ أَمَلا " . واذا كان المجرد يدل على الرجاء فان مزيده يدل على شدة الرجاء .

ومعنى "أملوا مايسركم " :انتظروا ماتقر عيونكم به ويدخل السرور على قلوبكم ، أى اطمئنوا فستحصلون على ماتريدون . وفى هذا من الدلالة على لطف الرسول عليه السلام مع أصحابه وأتباعه وحرصه على مسرتهم وطمأنتهم مافيه .

فوالله

مما يلفت النظر بقوة فى مسألة المقابلة بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث أن لفظ الجلالة " الله " ، الذى هو أشيع صيغ القسم دورانا على ألسنة المسلمين فى كل العصور حتى ان القرآن

حينما نهاهم عن كثرة الحلف حده لفظ الجلالة تحديدا فقال : " ولاتجعلوا الله عرضه لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس"(١٨) ، والذى تكررالقسم به فى الحديث النبوى الكريم ، مثل : " والله ، لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم .. " (١٩) ، و " ... كلام الرجل فى بيته :كلا والله ، وبلى والله " (٢٠) ، و " أما والله انى لأخشاكم لله " (٢١) ، لفظ الجلالةهذا لم يقسم به فى القرآن الكريم بالواو الا مرة واحدة ، وكان ذلك على لسان الكافرين ، لا فى هذه الدنيا ، بل فى الآخرة عندما يمثلون امام الديان للعرض والسؤال عما قدمت أيديهم فى دنياهم ، وكان حلفهم كذبا : " ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين * انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون " (٢٢) . كما يلاحظ أيضا أنهم لم يكتفوا بقولهم : " والله " ، بل قالوا : " والله ربنا " ، وهو قسم غير شائع .

أفليس غريبا ، لو كان الرسول عليه الصلاة والسلام هو مؤلف القرآن كما يزعم أعداء الاسلام ، أن يتجنب استعمال الواو فى القسم بلفظ الجلالة فى القرآن الا مرة واحدة وعلى لسان المشركين كذبا يوم القيمة ، ويكثر من استعمالها فى أحاديثه ؟

كذلك مما يميز أسلوب القرآن فى القسم عن الحديث أنه قد تكرر فيه القسم بغير الله .فقد أقسم القرآن بمظاهر الطبيعة كالطور والسماء والأرض والنجم والشمس والقمر والليل والنهار والضحى والفجر . والسؤال الآن هو : لو أن الرسول هو مؤلف القرآن كمايزعم الكافرون فكيف لم يفلت لسانه عليه السلام ولو مرة واحدة فيقسم بشىء من ذلك خارج القرآن ؟ بل كيف حرم على أتباعه أن يحلفوا الا بالله ، اذ قال : " من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت " ؟ (٢٣) وفضلا عن ذلك ، فان القسم بغير الله فى القرآن ليس مقصورا على مظاهر الطبيعة ، فقد ورد فيه القسم بـ" اليوم الموعود * وشاهد ومشهود " (٤) ، وبيوم القيامة : " ولا أقسم بيوم القيامة " (٢٥) ، وبـ " الشفع والوتر " (٢٦) ، وبمكة : " لا أقسم بهذا البلد " (٢٧) . و " هذا البلد الأمين " (٢٨)، وبالقرآن : " ص والقرآن ذى الذكر " (٢٩) ، و " ق والقرآن المجيد " (٣٠) ، وبالنفس: " ونفس وماسواها " (٣١) ، و " لاأقسم بالنفس اللوامة " (٣٢) ، و بالقلم والكتابة : " والقلم ومايسطرون " (٣٣) ، وبالعدد : " والشفع والوتر " (٣٤) ، وبالخيل : " والعاديات ضبحا " (٣٥) ، و بالملائكة : " والصافات صفا " (٣٦) ، وبحياة الرسول الكريم : " لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون " (٣٧) . وليس شىء من ذلك فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم .

وفيما يختص به القرآن الكريم دون الحديث من أساليب القسم أن بعض أقسامه يسبقها حرف أو أكثر من حروف الهجاء ، مثل " ص والقرآن ذى الذكر " (٣٨)، و " ق والقرآن المجيد " (٣٩) ، و " حم والكتاب المبين " (٤٠) ، و " يس والقرآن الحكيم " (٤١) .

كذلك لانجد فى الحديث مثل هذه التعقيبات التى تقابلنا فى القرآن بعد بعض الأقسام ، مثل : " فلا أقسم بمواقع النجوم * وانه لقسم لو تعلمون عظيم * انه لقرآن كريم " (٤٢). " والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل اذا يسر * هل فى ذلك قسم لذى حجر ؟ " (٤٣) .

ومما قد تكرر من أساليب القسم فى القرآن ولا أثر له فى الحديث النبوى تلك الأقسام التى اختلف المفسرون بشأنها لعدم تحديد المراد منها ، وذلك بسبب الاكتفاء فيها بالصفات دون الاسم ، وهى صفات غير مقصوره على شىء معين ، كقوله تعالى : " والصافات صفا* فالزاجرات زجرا ... " (٤٤) ، و " النازعات غرقا * والناشطات نشطا... " (٤٥) ... الخ . وفى هذا الاسلوب

القسمي نلاحظ أن المقسم به قد تبعه أحيانا مفعول مطلق ، وهو شيء لايعرفه الحديث .

كذلك لايعرف الحديث تتابع الاقسام (سواء كان العطف بالواو او بالفاء) ، كما في الآيات السابقة ، وكما في قوله تعالى : " كلا والقمر * والليل اذ أدبر * والصبح اذا أسفر " (٤٦) ، " والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل اذا يسر " ، " والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلى * وماخلق الذكر والأنثى " (٤٨) .

ومما انفرد به الحديث دون القرآن هذا القسم الذى كان النبى عليه الصلاة والسلام يردده كثيرا : " والذى نفسي بيده " أو " والذى نفسمحمد بيده " ، وأيضا " فوالذى لااله غيره " أو " والذى فلق الحبة وبرأ النسمة " أو " ورب محمد " أو " فوالذى بعث محمدا بالحق " أو " وايم الله " أو " ومقلب القلوب " .

ما الفقر اخشى عليكم

ليسمعنى هذا أن ليسفى الفقر مايخشى منه على من ابتلى به ، فان الفقر فى بعضالاحيان قرين الكفر ، أو على الاقل يزلق صاحبه فى مهاوى الرذيلة والانحراف ، أو يكسر نفسه ويحطم قلبه ، أو يملؤه غلا وحقدا ، وقد يدفعه الى الثورة على المجتمع . ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام يقصد أن المسلمين الذين كانوا فى عصره قد ودعوا الفقر واستقبلوا الغنى والثروات . وهى نبوءة محمدية صدقتها الأيام ، اذ ان حركة الفتوح قد أحالت المسلمين الأوائل من أمة فقيرة الى أصحاب امبراطورية عظمى تتدفق عليهم أموال الفتح تدفقا .

و " أَخْشَى " ماضيه " خَشِيَ " (بفتح فكسر) . " والخشية" معناها " الخوف " . ومثله فى الوزن ووجود الياء فى آخره : " بَقِيَ يَبْقَى " ، و " بَلِيَ يَبْلَى" ، و " عَمِيَ يَعْمَى " ، و " نَسِيَ يَنْسَى " ، و"دَمِيَ يَدْمَى " ، و " رَضِيَ يَرْضَى " ، " وحَمِيَ يَحْمَى" (اشتد حره) .

والماضي من هذه الأفعال وأمثالها اذا أسند الى تاء الفاعل أو " نا " الفاعلين أو نون النسوة قلنا : " خَشِيت " و " رَضِيت " و " بَقِيت " و " دَمِيت " ، و " خَشِينا " و "رَضِينا " ... الخ ، و " خَشِين " و " رَضِين " ... الخ (كثير من الناسيقول : " خشَيْت " و " رضَيْت " ... الخ ، وهو خطأ) . أما اذا أسند الى واو الجماعة فنقول : " خَشُوا " و " رَضُوا " و " بَقُوا " ، وهكذا ، بحذف الياء وضم الحرف الذى كان يسبقها (لا فتحه ، كما يفعل كثير من الناس) . وفى حالة اسناد مضارع هذه الأفعال الى واو الجماعة يحذف حرف العلة من آخرها ويفتح الحرف الذى كان يسبقه وتسكن واو الجماعة ، فنقول : " يخشَوْن " و " يرضَوْن " و " يبقَوْن " و " يدمَوْن " ، و " يحمون (غضبا) " و "ينسون " و " يعمون " . (الغالب بين المتعلمين أن يقولوا : " يخشُون " و " يرضُون " ... الخ ، وهو خطأ) .

أما من ناحية الاعراب فـ " الفقر " مفعول به مقدم على الفعل . وأصل الكلام : " ما أخشى الفقر عليكم " . وقدمه الرسول عليه السلام للقصر ، بمعنى أن الشيء الذى لايخاف منه عليهم انما هو الفقر . والمقصود ، كما سلف القول ، أنه عليه السلام كان يعرف أن المسلمين قد استدبروا أيام الحاجة والعوز ، وأقبلت عليهم الفتوح والاموال .

ولكنى اخشى ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم

فتنافسوها كما تنافسوها . فتهلككم كما اهلكتهم

تأمل كيف أنه عليه الصلاة والسلام لم يقل انه يخشى عليهم من انبساط الدنيا لهم ثم سكت ، وانما قال انه يخشى عليهم اذا بسطت لهم أن يتنافسوها كما فعل من خلا قبلهم من الأمم فتهلكهم كما حدث مع أولئك الأولين • وهذا يدل على أن الخطر ليس في المال نفسه ، بل في صاحب المال استجاب لوسواس الشيطان ، وتكالب على حطام الدنيا في سعار وجنون ، ولم يعد يرى في الحياة شيئا سوى المال وجمعه ، واستعبده الدينار والدرهم ، وترك نفسه للترف ورخاوته وماتجر اليه من ضعف وانحلال وانصراف عن المعالي وانهماك في اشباع الغرائز دون اعتدال أو تدبر • فقد ثبت أنه متى تحولت أمة هذا التحول كان ذلك ايذانا بأنها ماضية الى مهاوى الفناء • حدث هذا من قبل المسلمين ، وحدث للمسلمين ، وسيظل يحدث أبد الدهر ، فهو قانون الهى حضارى • والذين يظنون أنهم بمنجاة من هذه السنة الكونية واهمون • وسوف يجرفهم التاريخ دون أن يريق عليهم دمعة • وأقتل مايكون الترف في أمة اذا جاءها من غير كد ولانصب ، فانها في هذه الحالة لاتقدره حق قدره • وكيف يمكنها أن تفعل وهي لم تتعب فيه ولم تبل المشاق التى اقتضاها استنباط الثروات التى تتقلب فيها وتنفق منها في سفه وحمق ؟

ان الحضارات انما تقوم على الجد ، والرجولة ، والتضحية ، والصبر ، والسهر في طلب العلم ، واليقظة على ثغور الدولة ، والايمان الصلب المتين ، وحسن التدبير ، والتخطيط ، والعدل ••• الى آخر تلك القائمة من قيم البناء والتعمير • أما الانغماس في قيم الاستهلاك والترف والاسراف والغطرسة المالية التى تسول لصاحبها زورا وظلما أنه أفضل من غيره لمجرد أن معه مالا وغيره ليس معه فانه مفض حتما الى الانهيار•

وقد ظل المسلمون سادة العالم يوم أن كانوا رغم الغنى الذى انثال في حجورهم جادين يقظين لم يستسلموا لشهوات الترف ورخاوته • اما بعد أن تركوا أنفسهم لتياره العارم فعاقروا الخمور وانكبوا على شهوات الجنس وانهمكوا في جمع المال واحتجانه والشح بحقوق الفقراء والمحتاجين ولم يصبروا على تكاليف الجهاد ورضوا بالهوان الذى كان حكامهم يسومونهم خسفه حرصا منهم على الحياة والسلام فقد فشا فيهم الضعف والفسولة ، ولم يستطيعوا أن يصمدوا لمصاولة الأعداء • وحتى عندما كانوا يفيقون أحيانا ويهزمون أعداءهم فانما كانت تلك هبات وقتية تثور فيها روحهم القديمة فجأة ولكنها لاتبقى فيهم بعدها • وبتتالى هجوم أعدائهم عليهم وطول صبرهم في التخطيط لضربهم وفي تنفيذ مايخططون وتذرعهم في حربهم بالعزم القوى وتحمل المشاق والعمل الدائب الذى لايعرف الكلل ومعاودة الكرة اذا فشلوا مرة أو أكثر ، انكسر المسلمون في نهاية المطاف • ذلك أنه في هذه الحرب كان العلم يواجه الجهل ، والجد يواجه الضعف والتخاذل والاستسلام للشهوات ، والطموح الغلاب يواجه التهافت والانكماش، والاقتحام يواجه العجز والقبوع ، فكانت النتيجة هى مانعرف جميعا مما لانزال نعانى منه ونقاسى حتى اليوم ، وسيظل يعانى منه أبناؤنا وأحفادنا ، الا اذا غيرنا ما بانفسنا فأخذنا الحياة مأخذ الجد ، وأقبلنا على العمل والانتاج والعلم ، واستمسكنا بما يأمرنا به ديننا من تعاون وتراحم وعدل وحسن تدبير • وفوق ذلك كله وقبل أى شيء آخر ربط القلب برب الكون والايمان الذى لايتلجلج بانه سبحانه مطلع على كل مانفعل وندع وأنه محاسبنا على ماتقدمه أيدينا لا كأفراد فقط ، بل كأفراد وأمم أيضا •

ان من الخزى الذى ليس بعده خزى أن يكون حال المسلمين هو حالهم الآن ، وأن يكون للكفر

والكفار اليد العليا وأيدينا هى السفلى • وان هذا عار شنيع وذل يفوق كل ذل • فأين حمية الاسلام وعزة المسلم وكرامته ونبله وعدم رضاه بأن يراه ربه فى موضع هوان ؟ هل يعقل أن يكون المسلمون قد فقدوا الاحساس بهذه المعانى ؟ ألا يعرفون أن مولاهم مؤاخذهم على هذا التخاذل والعجز والكسل والبلادة مؤاخذة عزيز مقتدر ؟ ألا يرون السكين فى أيدى الكفرة تشحذ لذبحهم كما ذبح آباؤهم من قبل وكما سيذبح ذراريهم من بعدهم ان لم يفيقوا ويهبوا ؟ ان هؤلاء الكفار لارحمة لنا عندهم ، وهم لايفقهون الا لغة القوة • ووالله لو ركعنا عند أحذيتهم نلعقها لعقا ليشفقوا علينا مانبض فيهم عرق بحنان علينا • ما الذى ينتظره المسلمون من أعدائهم بعد كل التنكيل والاذلال والنهب والقتل وسرقة الأوطان التى رأوها منهم ؟ أما زالوا يؤملون فى هؤلاء الكفرة قساة القلب خيرا ؟ ان ذلك والله لأعجب العجب ! اننا بارعون أشد البراعة فى مقاتلة بعضنا بعضا ، فاذا أتى الأمر الى الرد على قتل أعدائنا لنا واهانتهم ايانا هبط علينا التعقل وهدوء الأعصاب وحكمة الأولين والآخرين وأخذنا نفلسف رضانا بمايفعلونه بها ، ودرنا حول أنفسنا دائخين ذاهلين ، وتكلمنا واجتمعنا وقررنا وخطبنا ، ثم ••• اذا بالعدو وقد صعد من اذلاله لنا وقتله لاخواننا فى فلسطين وكشمير وارتيريا وافغانستان وفى كل مكان وبقر بطون نسائنا واغتصاب شرف بناتنا ، واحتل أرضا جديدة من أوطاننا •

اننا مليار مسلم ، ولكننا غثاء كغثاء السيل!

هوامش الحديث الأول

١-آل عمران ١٥٢
٢-النساء ١١٧-١١٩
٣-الأنبياء ٣٣
٤-الأنبياء ٩٣
٥-الروم ٣٢
٦-النمل ٨٧
٧-البخارى / اعتصام ٢
٨-البخارى / بدء الخلق ١١ ، وابن حنبل ٥٢٣/٣
٩-أبوداود / جهاد ١٥ ، والترمذى / فضائل الجهاد ٢ ، والدرامى / جهاد ٣٢ ، وابن حنبل ١٤٦/٤ .
١٠-ابن حنبل ٤٥٤/٦

هوامش الحديث الثانى

١-الفرقان ٧٤
٢-الليل ١٠
٣-الواقعة ٩ ، والبلد ١٩ مثلا
٤-التوبة ٩٢
٥- انظر من كنوز السنة ص٣٢ ط عالم الكتب . بيروت ١٩٨٥ .
٦-التوبة ٧٤
٧-الاسراء ٥٣
٨- ص٨٤
٩-الفتح ١١
١٠-الجن ٥
١١- المجادلة ٢
١٢-الأنعام ٥٨
١٣-النور ٥٨
١٤-الواقعة ٧-١١
١٥-البخارى / رقاق ٥
١٦-البخارى / علم ١٥ وزكاة ٥ وتوحيد ٤٥ ، وابن حنبل ٣٦/٩/٢
١٧-أبوداود / جهاد ٢٣ ، والنسائى / جهاد ٢٦ ، وابن حنبل ١٤٦/٤، ١٤٨
١٨-الموطأ / نكاح ٥٦
١٩-البخارى / اعتصام ٣٤ وجهاد ٤٨ ومناقب ٢٨

٢٠-الترمذى / نكاح ١ ، وابن حنبل ٤٢١/٥

٢١-مسلم / ايمان ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، والبخارى /ايمان ٤٠ ومناقب ٥ ، وأبوداود / أشربة ٧ ، والترمذى / ايمان ٥ ، والنسائى / ايمان ٢٥ ، والدارمى / مناسك ٧٤

٢٢- البخارى / صيد ٧ ، ومسلم / حج ٦٧ - ٧٢ ، وأبوداود / مناسك ٣٩ ، والنسائى/ حج ٨٢ -٨٤ ، والموطأ / حج ٨٨-٩٠ ، وابن حنبل ٧٧/٨/٢ .

٢٣-البخارى /جنائز ٢ ، ومسلم / سلام ٥/٤ ، وأبوداود / أدب ٩٠ ، وابن ماجة / جنائز ١

٢٤-الترمذى / فضائل الجهاد ٢٥ ، وابن ماجة / جهاد ١٦ ، وابن حنبل ١٣١/٤

٢٥-مسلم / ايمان ١٤٤ ، والبخارى / وصايا ٢٣ وحدود ٤٤

٢٦-الموطأ / شعر ١٤ ، والبخارى / أذان ٣٦ ، والترمذى / زهد ٥٣ ، والنسائى/ قضاة ٢

هوامش الحديث الثالث

١-الأعراف ٣٤

٢-الروم ٥٥

٣-يونس ٤٥

٤-الأحقاف ٣٥

٥-الأنعام ٣١

٦-يوسف ١٠٧

٧-الزخرف ٦٦

٨-محمد ١٨

٩-الأعراف ١٨٧

١٠-الأحزاب ٦٣

١١-الزخرف ٨٥

١٢-النازعات ٤٢-٤٥

١٣-ابن ماجة / فتن ١٣

١٤-ابن حنبل ٤٨/٥

١٥-مسلم / فتن ٢٢

١٦-مسلم / علم ١١ ، وأبوداود / فتن ١

١٧-ابن حنبل ٢٢/٦

١٨-ابن حنبل ٤٧٧/٣

١٩-أبوداود / فتن ٧

٢٠-ابن حنبل ٧٣/٥

٢١-ابن حنبل ٤١٩/٣

٢٢-ابن حنبل ٤٢٠/٤

٢٣-البخارى / فتن ٤ ومظالم ٢٥ ومدينة ٨ ، ومسلم / فتن ٩ ، وابن حنبل ٢٠٨/٢٠٠/٥

٢٤البخـارى / علـم ٤٠ ولبـاس٣١ وأدب ١٢١ وفـتن ٦ وتهجـد ٥ ، والترمـذى / فـتن ٣٠ ، وابن حنبل ٢٩٧/٦

٢٥-البخارى / صلاة ٦٣ وفتن ١٥ ، ومسلم / جنة ٦٧ ، وابن حنبل ٩١/٣، ١٧٧

٢٦-الموطأ / شعر ١٠

٢٧-أبوداود / فتن ٢ ، وابن حنبل ٣٢٧/١

٢٨-ابن ماجة / فتن ١٢

٢٩-يونس٢٧

٣٠- (انظركتابه من كنوز السنة ص٢٧)

٣١-الروم ١٧

٣٢-الروم ١٧

٣٣-الحجر ٦٦

٣٤-الحجر ٨٣

٣٥-الصافات ١٣٧

٣٦-القلم ١٧

٣٧-القلم ٢١

٣٨-المائدة ٤٠ ، والكهف ٤٠ ، ٤١ ، والحج ٦٣ ، والمؤمنون ٤٠ ، والحجرات ٦

٣٩-القصص١٠

٤٠-المائدة ٣١

٤١-القصص٨٢

٤٢-الكهف ٤٠

٤٣-ابن حنبل ٤٢٤/٣

٤٤-ابن حنبل ٢٢١/٥ ، ٣٨٣ ، ومسلم / فتن ١٠٤ ، وابن ماجة / فتن ٢٣

٤٥-مسلم / توبة ٣١ ، وابن حنبل ٣٩٥/٤ ، ٤٠٤

٤٦-البخارى / أذان ١٥٥ واعتصام ٣ ، ومسلم / صلاة ١٤٠ ، وأبوداود / صلاة ١٤٠ ، وترمذى ٢٥ ، وابن ماجة / اقامة ١٨ ، والدارمى / صلاة ٧١ ، ٨٨ ، وابن حنبل ٩٣/٤ ، ٣٥٥

٤٧-ابن حنبل ٤١١/٥

٤٨-البخارى / رقاق ٤

٤٩-مسلم / ايمان ٢٩٣ ، وابن ماجة / مقدمة ١٣

٥٠-ابن حنبل ٢٠٠/٢

٥١-الترمذى / بر ٦٠

٥٢-أبوداود / سنة ١٦ ، والترمذى / قدر ١٠ ، وابن ماجة / مقدمة ١٠ ، وابن حنبل ٣١٧/٥ و ٤٤٢/٦

٥٣-ابن حنبل ٣٠٧/٢ ، ٥١٨

٥٤-آل عمران ١١٥

٥٥-النساء ٩٤

٥٦-الأعراف ١٦٩
٥٧-الأنفال ٦٧
٥٨-النور ٣٣
٥٩-الأعراف ١٦٩
٦٠-التوبة ١١١
٦١-من كنوز السنة ص٢٧
٦٢-الذاريات ٥٦

هوامش الحديث الرابع

١-البخارى ومسلم
٢-الكف ٧٧
٣-الحشر ٥
٤-البقرة ٢٢٩
٥-البقرة ٢٢٩
٦-البقرة ٢٣٠
٧-البخارى/ علم ١٣ ومناقب ٢٨ وتوحيد ٢٩ ، ومسلم / امارة ١٧٤
٨-النساء ١٠٠
٩-الأعراف ٧١
١٠-النمل ٨٥
١١-الأعراف ١٧١
١٢-الشورى ٢٢
١٣-الأعراف ١١٨
١٤-يونس٥١
١٥-المرسلات ٧
١-الترمذى/ أدب ٧٦
١٧-ابن حنبل ٦٦/٥
١٨-البخارى / ايمان ٣٩ ، ومسلم / مساقاة ١٠٧ ، وأبوداود / بيوع ٣ ، وابن ماجة / فتن ١٤ ، والدارمى / بيوع ١
١٩-ابن حنبل ١١٦/٢
٢٠-ابن ماجة / مقدمة ٢١
٢١-الترمذى / حدود ٢٣
٢٢-مسلم / حدود ١٩ ، وأبوداود / حدود ٢٣ ، والترمذى / حدود ٤ ، وابن حنبل ٣٢٨/١
٢٣-ابن حنبل ٢٨/٣
٢٤-البقرة ٢٢٩

٢٥-الطلاق ١
٢٦-النساء ١٤
٢٧-البقرة ٢٢٩
٢٨-الصافات ١٤١
٢٩-البخارى / أذان ٧٣
٣٠-أبوداود / أقضية ٢٢ ، وابن ماجة أحكام ١١، ٢٠، وابن حنبل ٤٨٩/٢ ، ٥٢٤
٣١-البخارى / أذان ٣٢/٩ ، ومسلم / صلاة ١٢٩ ، والترمذى / مواقيت ٥٢، والنسائى / مواقيت ٢٢ ، والموطأ / جماعة ٦ ، وابن حنبل ٣٠٣/٢
٣٢-أبوداود / أقضية ٢٢ ، وابن حنبل ٣١٧/٢
٣٣-أبوداود / أقضية ٧ ، وابن حنبل ٣٢٠/٦
٣٤-النسائى / جهاد ١٥
٣٥-ابن ماجة / اقامة ١٧٤
٣٦-الترمذى / زهد ٤١
٣٧-البخارى / توحيد ٣٤
٣٨-البخارى / بدء الوحى ١ وايمان ٤١ ومناقب الأنصار ٤٥، ومسلم / امارة ١٥٥ ، وأبوداود / طلاق ١١ ، والنسائى / طهارة ٥٩ وأيمان ١٩
٣٩-النسائى / بيوع ٢
٤٠-الموطأ / طهارة ٧٧
٤١-أبوداود / نكاح ١٩
٤٢-أبوداود / نكاح ٤٧ وطهارة ١٠٥
٤٣-مسلم / حج ١٤١
٤٤-البقرة ٢٥٩
٤٥-هود ٣٨
٤٦-الصافات ١٣٧
٤٧-يوسف ١٠٥
٤٨-الفرقان ٧٢
٤٩-المطففين ٣٠
٥٠-أنظر شرح ابن عقيل / ج ١ ص ٥٣٨، ٥٣٩ (المتن والهامش)
٥١-الكهف ٧١
٥٢-الأعراف ٢٠
٥٣-الأعراف ٢١
٥٤-الترمذى / تفسير سورة ١٧/٥ وفتن ٨ ، والدارمى / ملاحم ١٧ ، وابن حنبل ٧/١

هوامش الحديث الخامس

١-من كنوز السنة ص٣٧
٢-نفس المرجع والصفحة
٣-المجادلة ٥٨
٤-مسلم / مساجد ٢٣٥ ، والنسائى / مواقيت ١٦، ٢٠
٥-البخارى / فضائل الصحابة ٢٧ ، والترمذى / مناقب ٣٧ ، والنسائى / صلاة ٩ ، وابن حنبل ١٩٤/٥ و ٤٤٤/٦ ، ٤٥١
٦-أبوداود / فتن ٢ ، وابن حنبل ١ /٤٤٨
٧-ابن حنبل ٣٩٢/٥
٨-البخارى / دعوات ٦٦ ، والترمذى / دعوات ١٢٩
٩-فاطر ١٠
١٠-البخارى / صلاة ٤٨ ، ومسلم / مساجد ١٦ ، والنسائى / جنائز ٤٤ ، وابن ماجة / زهد٣٢ ، وابن حنبل ٢٩٢/٢ و ٥١/٦
١١-البخارى / أنبياء ٨ ، ٤٨ ورقاق ٤٥ ، ومسلم / صلاة ٢٠٨ ، والترمذى / قيامة ٣ ، والنسائى / جنائز ١١٩ ، وابن حنبل ٣٠٤/٥
١٢-ابن حنبل ٥٠٩/٢
١٣-ابن حنبل ١٩٧/٤ ، ٢٠٢
١٤-ابن حنبل ٤٤٣/٣ و ٢٣٧/٤ و ٢٥٣/٥ ، ٣٦٦
١٥-البخارى / صلاة ١ ، ومسلم / ايمان ٢٦٣ ، وابن حنبل ٢٠٨/٤
١٦-مسلم / توبة ٤٧ ، وابن ماجة / ديات ٢ ، وابن حنبل ٢٠/٣
١٧-ابن حنبل ٣٦٠/٣ ، ٣٧٧
١٨-مسلم / رضاع ٦٤ ، والنسائى / نكاح ١٥
١٩-الدارمى / مقدمة ٨
٢٠-الترمذى / علم ٧ ، وأبوداود / علم ١ ، وابن ماجة / مقدمة ١٨ ومناسك ٨٦
٢١-أبوداود / أدب ٢٠
٢٢-أبوداود / أشربة ٢ ، والترمذى / بيوع ٥٨ ، وابن حنبل ٣١٦/١ و ٢٥/٢
٢٣-أبوداود / سنة ١٨ ، ابن حنبل ٢١٨/١ و ٢٧٩/٥
٢٤-الدارمى / رؤيا ١٣ وفضائل القرآن ٣٣
٢٥-ابن حنبل ٢٦٦/٥
٢٦-الحج ٢
٢٧-الطلاق ٤
٢٨-الطلاق ٦
٢٩-البخارى / بيوع ١١١ ، ومسلم / طلاق ٤٣/٧ ، ٥٨ ، وأبوداود / نكاح ٤٤ ، والترمذى /صوم ٢١ ، والنسائى / صيام ٥١ ، والدارمى / وضوء ٩٧ ، والموطا / طهارة ١٠٠ ، ١٠١ ،وابن حنبل ٣٧٥/١ ... الخ
٣٠-الأعراف ١١٥

٣١-الكهف ٨٦
٣٢-طه ٦٥
٣٣-الدارمى / فرائض٤٨
٣٤-أبوداود / بيوع ٦٥ ، والنسائى / بيوع ٥٥
٣٥-الترمذى / بيوع ٧٥ ، والموطأ / سفر ٩٢ ، والدارمى / صلاة ١١٨
٣٦-البخارى / بيوع ٦٤ ، ومسلم / بيوع ١١ ، وأبوداود / بيوع ١٣ ، والموطأ / بيوع ٦٩، وابن حنبل ٢/٢٤٢/٢٤٨
٣٧-ابن ماجة / أحكام ٢٤ ، وابن حنبل ٢/٤٠٣
٣٨-ابن حنبل ٤/١٠٩
٣٩-ابن حنبل ٣/٣٢١ ، ٣٩٩
٤٠-يونس٢٢
٤١-يوسف ٩٤
٤٢-الأنفال ٤٦
٤٣-الترمذى / بر ٤٦
٤٤-أبوداود / آداب ١١١ ، وابن حنبل ٢/٣٦١
٤٥-ابن حنبل ١/٣٧٥
٤٦-النسائى / صيد ٢٠
٤٧-البخارى / أحكام ٩
٤٨-ابن حنبل ٣/٣٨٧
٤٩-ابن حنبل ٥/٤٠٢
٥٠-البخارى / تفسير سورة ٦٣/٥،٧ ، ومسلم / بر ٦٤ ، والترمذى / تفسير سورة ٦٣/٤ ، وابن حنبل ٣/٣٣٨ ، ٣٨٥ ، ٣٩٣
٥١-من كنوز السنة ص٣٨
٥٢-البقرة ٣٨
٥٣-الأسراء ٢٨
٥٤-الأنفال ٥٧-٥٨
٥٥-الأعراف ١١٥
٥٦-التوبة ١٠٦
٥٧- الأسراء ٨٦
٥٨-مريم ٧٥
٥٩-طه ٦٥
٦٠-محمد ٤
٦١-الانسان ٣

هوامش الحديث السادس

١-ابراهيم ١٨

٢-النور ٣٩

٣-الفرقان ٢٣

٤-القصص٢٦

٥-النمل ٣٩

٦-مسلم / ذكر ١٥ ، والترمذى / جنائز ٦٧

٧-ابن ماجة / فتن ٦

٨-البخارى / فضائل القرآن ٣٦

٩-ابن ماجة / فتن ٢٣ ، وابن حنبل ٤٣/٢ و ٣٦٥/٥

١٠-النسائى / جنائز ١٣

١١-أبوداود / أدب ٥ ، وابن حنبل ٣٩٤/٢

١٢-البخارى / مظالم ٥ وأدب ٣٦ ، والترمذى / بر ١٨ ، والنسائى / زكاة ٦٧ ، وابن حنبل ٤٠٤/٤ ، ٤٠٩

١٣- البخارى / جنائز ٨ وغسل ٢٣ ، ٢٤ ، ومسلم / حيض١١٥ ، والنسائى / طهارة ١٧١ ، وابن ماجة / طهارة ٨٠ ، وابن حنبل ٢٣٥/٢ و ٣٨٤/٥

١٤-الترمذى / ايمان ١٢ ، والنسائى / ايمان ٨ ، وابن ماجة / فتن ٢ ، وابن حنبل ١٥٤/٣ و ٢١/٦

١٥-أبوداود أدب ٤٩

١٦-ابن حنبل ٣٣٥/٥ و ٤٠٠/٢

١٧-ابن حنبل ٦٤/٦ ، ٩٠

١٨-البخارى / دعوات ٣ ، والترمذى / قيامة ٤٩ وابن حنبل ٣٨٣/١

١٩-الدارمى / رقاق ٦١

٢٠-البخارى / أطعمة ١٢ ، والموطأ / صفة النبى ١٠ ، والدارمى / أطعمة ١٣ فى الترجمة، وابن حنبل ٢١/٢ و ٣٣٣/٣ و ٣٣٦/٤ و ٣٧٠/٥ و ٣٣٥/٦

٢١-ابن ماجة / نكاح ٥

٢٢-ابن حنبل ٣٤٦/٣

٢٣-الترمذى / فتن ٧

٢٤-الترمذى / بر ٤٦

٢٥-البخارى أدب ٨٣ ، ومسلم / زهد ٦٣ ، وابن ماجة / فتن ١٣ ، والدارمى / رقاق ٦٥ ، وابن حنبل ١١٥/٢ ، ٣٧٩

٢٦-مسلم / زهد ١ ، والترمذى / زهد ١٦ ، وابن ماجة / زهد ١٥ ، وابن حنبل ١٩٧/٢ ، ٤٨٥

٢٧-النسائى / تحريم ٢٧، وابن ماجة / مقدمة ٧ ، وابن حنبل ١٧٦/١

٢٨-الحشر ٢٣

٢٩-البخارى / فضائل أصحاب النبى ١٨ وحدود ١٢ ، ومسلم / حدود ٨ ، ٩ ، وأبوداود / حدود ٤

، والترمذى / حدود ٦، وابن ماجة / حدود ٦ ، والنسائى / سارق ٦ ، والدارمى / حدود ٥ ، وابن حنبل ٦/١٦٢

٣٠-ابن ماجة / صدقات ١٧

٣١-أبوداود / صلاة ١٢٤ ، وابن حنبل ٣/٢٩٩

٣٢-ابن حنبل ٢/٤٢١ ، والنسائى / مناسك ٤

٣٣-ابن حنبل ٦/٢٠

٣٤-مسلم / وصية ١٥

٣٥-ابن حنبل ٢/١٢٥

٣٦-ابن حنبل ٥/١٦٩

٣٧-ابن حنبل ٥/٣٨٥ ، ٤٠١

٣٨-البقرة ٢٨٢

٣٩-النساء ٢٨

٤٠-النساء ٧٦

٤١-هود ٩١

٤٢-النساء ١٢٩

٤٣-يوسف ١٠٣

٤٤-الترمذى / زهد ١٩

٤٥-الترمذى / زهد ٢٨ وقيامة ٢٢ ، ومسلم / زكاة ١١٥ ، وابن ماجة / زهد ٢٧

٤٦-ابن حنبل ٣/١١٥ ، ١١٩ ، ١٩٢ ، ٢٧٥

٤٧-الترمذى / زهد ٤٣ ، والدارمى / رقاق ٢١ ، وابن حنبل ٣/٤٥٦ ، ٤٦٠

٤٨-البخارى / أذان ١١٤ ، وأبوداود / صلاة ١٠٠ ، والنسائى / امامة / ٦٣ ، وابن حنبل ٥/٣٩ ، ٤٦ ، ٥٠

٤٩-البقرة ٤٥

٥٠-البقرة ١٥٣

٥١-الأعراف ١٢٨

٥٢-الترمذى / علم ١٢

٥٣-الترمذى / تفسير سورة ٥٨/١ ، وابن حنبل ٤/٣٧

٥٤-مسلم / جهاد ٢ ، وأبوداود / جهاد ٨٢ ، وابن ماجة / جهاد ٣٨ ، وابن حنبل ٥/٣٥٢ ، ٣٥٨

٥٥-النسائى / تحريم ٢١

٥٦-مسلم / قدر ٣٤ ، وابن ماجة / مقدمة ١٠

٥٧-أبوداود / صلاة ١٥٥ ، والترمذى / مواقيت ٩٦ ، وابن حنبل ٢/٣٤٠

٥٨-ابن ماجة / صيام ٢٢

٥٩-البخارى / ايمان ٢٩ ، والنسائى / ايمان ٢٨

٦٠-ابن حنبل ٥/٥٨ ، ٣٧١

٦١-يوسف ٨٧
٦٢-الحجر ٥٦
٦٣-الانشراح ٥ ، ٦

هوامش الحديث السابع

١-يوسف ١٣
٢-البخارى / بدء الخلق ٧ ونكاح ٨٥
٣-مسلم / حيض٧٤، وأوداود / حمام ٢
٤-ابن حنبل ٢/٩٠
٥-البخارى / جمعة ١١ ، وابن حنبل ٢/٥ ، ٥٤
٦-مسلم / حيض٣٠ ، والنسائى / طهارة ١٣٢
٧-النسائى امامة ٤٥
٨-البخارى / صلاة ١٠٢
٩-الترمذى /جنة ٢٠
١٠-الترمذى / قيامة ٦
١١-الترمذى / جهنم ١
١٢-النسائى / جنائز ١١٩
١٣-الدخان ٤٧
١٤-الطور ١٣
١٥-القمر ٤٨
١٦-ابراهيم ٤٨
١٧-الحج ٤٧
١٨-المعارج ٤
١٩-المطففين ٦
٢٠-الزمر ٥١
٢١-ابراهيم ٤١
٢٢-الترمذى / قيامة ١٨
٢٣-ابن حنبل ٥/٢٧٥
٢٤-أبوداود / جهاد ٥٧
٢٥-ابن حنبل ٢/٥٠٧
٢٦-الموطا / حج ٢٢
٢٧-البخارى / بدء الخلق ١٠ وفتن ١٧ ، ومسلم / زهد ٥١ ، وابن حنبل ٥/٢٠٥ ، ٢٠٩
٢٨-ص ٦٤
٢٩-البخارى / رقاق ٥١ وتوحيد ٢٤ ، والترمذى / جهنم ١٠ ، وابن ماجة / زهد ٣٩ ، وابن

حنبل ٥/ ١٧٠

٣٠-الترمذى / قدر ٨

٣١-مسلم / لباس ٩٩ ، وابن حنبل ١/ ٤٢٦

٣٢-البخارى /حيض٦ وزكاة ٤٤ ، ومسلم / ايمان ١٣٢ ، والترمذى / ايمان ٦ ، وابن ماجة / فتن ١٩ ، وابن حنبل ١/ ٣٧٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ و ٢/ ٦٧ ، ٣٧٣

٣٣-الترمذى / جنائز ٢٧

٣٤-ابن حنبل ٢/ ٢١٤

٣٥-أبوداود / خاتم ٤ ، والترمذى / لباس٤٣ ، والنسائى / زينة ٤٦

٣٦-ابن ماجة / أدب ٥٥

٣٧-مسلم / أشربه ٧٢ ، والترمذى / قيامة ٤٧ ، والنسائى / أشربة ٤٩ ، وابن ماجة / أشربة ٤ ، وابن حنبل ٢/ ٨٢ ، ١٧٩ ، ١٨٩ ، و ٣/ ٣٦١ و ٥/ ١٧١

٣٨-الترمذى / جهنم ٥

٣٩-الترمذى / جنة ٢٠

٤٠-ابن ماجة / زهد ٢٥ ، وابن حنبل ٣/ ٤١٦ و ٦/ ٤٦٦

٤١-البخارى / جنائز / ٩٠ ، ومسلم / جنائز ٦٦ ، والترمذى / جنائز ٧٠ ، والنسائى / جنائز ١٢٦ ، وابن ماجة / زهد ٣٢ ، وابن حنبل ٢/ ١٦ ، ٥١ ، ١١٦

٤٢-البخارى / تفسير سورة ٦٨/ ١ ، ومسلم / جنة ٤٦، ٤٧ ، والترمذى / جهنم ١٣ ، وابن ماجة / زهد ٤ ، وابن حنبل ٢/ ٣٦٩ ، ٥٠٨ و ٣/ ١٤٥ و ٤/ ٣٠٦

٤٣-الاسراء ٨٨

٤٤-الحج ٧٣

٤٥-الشعراء ٣٩

٤٦-البخارى / تفسير سورة ٢/ ١ ، ومسلم / ايمان ٣٢٣ ، وابن ماجة / زهد ٣٠٧

٤٧-ابن حنبل ٢/ ٣٤٩

٤٨-الموطأ / مدينة ١٨، ١٩

٤٩-مسلم / امارة ١٣٠ ، ١٣١ ، وأبوداود / جهاد ١٠ ، والنسائى / جهاد ٨ ، وابن حنبل ٢/ ٢٦٣ ، ٣٤٢ ، ٤١٢

٥٠-النسائى / أشربة ٤٤

٥١-الترمذى / زهد ٨ ، والنسائى / جهاد ٨ ، وابن ماجة / جهاد ٩

٥٢-الترمذى حج ٤٤ وتفسير سورة ٩/ ٧ ، والدارمى / مناسك ٧٤

٥٣-البخارى / أذان ٣١ وبدء الخلق ٦ وتوحيد ٢٣ ، والنسائى / صلاة ٢١ ، والموطأ / سفر ٨٢ ، وابن حنبل ٣٣٣ ، ٤٨٦

٥٤-ابن ماجة / فتن ٨

٥٥-الترمذى / بر ٤١

٥٦-من كنوز السنه ص٥٣

٥٧-التغابن ٧

٥٨-الأعراف ١٧٢

٥٩-الملك ٨-٩

٦٠-البقرة ١٤٢

هوامش الحديث الثامن

١-البقرة ٤٨، ١٢٣

٢-البقرة ٢٨١

٣-الأنفال ٢٥

٤-البقرة ٢٤

٥-الزمر ٢٤

٦-الترمذى / زهد ٢

٧-البخارى / ايمان ٣٩ ، ومسلم مساقاة ١٠٧ ، وأبوداود / بيوع ٣ ، وابن ماجة / فتن ١٤ ، والدارمى / بيوع ١

٨-الموطأ / حسن الخلق ٤

٩-مسلم / بر ١١٣ ، وأبوداود / حدود ٣٨ ، وابن حنبل ٥٠٩/٢

١٠-البخارى / زكاة ٦٣ ، ومظالم ٩ ومغازى ٦٠ ، ومسلم / ايمان ٢٩ ، وأبوداود / زكاة ٥ ، والنسائى / زكاة ١، ٤٦ ، والترمذى / بر ٦٨ ، وابن ماجة / زكاة ١ ، والموطأ / دعوة المظلوم ١ ، وابن حنبل ٢٢٣/١ و ٢٥٣/٣

١١-البخارى / عمرة ١٠

١٢-ابن حنبل ٣٢٧/١

١٣-ابن حنبل ٤٣/٣

١٤-مسلم / بر ٥٦، وابن حنبل ٢/٢ ، ١٣٦

١٥-الترمذى / تفسير سورة ٦/١٥

١٦-مسلم / طهارة ٦٨ ، وأبوداود / طهارة ١٤ ، وابن ماجة / طهارة ٢١ ، وابن حنبل ٣٧٢/٢

١٧-مسلم / ذكر ٩٩ ، والترمذى / فتن ٢٦ ، وابن ماجة / فتن ١٩ ، وابن حنبل ١٩/٣، ٤٦، ٨٤

١٨-الترمذى / طهارة ٤٣ ، وابن ماجة / طهارة ٤٨

١٩-الحديد ١٢

٢٠-التحريم ٨

٢١-يونس٢٧

٢٢-ابراهيم ٣٤

٢٣-الأحزاب ٧٢

٢٤-ابن حنبل / جنائز ٣٢

٢٥-ابن حنبل ٢٤٥/٤

٢٦-الترمذى / رضاع ١٣
٢٧-ابن حنبل ١٣٨/٣
٢٨-الترمذى / ايمان ١٨ ، وابن حنبل ١٧٦/٢ ، ١٩٧
٢٩-الدارمى / صلاة ١٣٣
٣٠-مسلم / جنائز ٧١ ، وابن حنبل ٣٨٨/٢ و ١٥٠/٣
٣١-الترمذى / قيامة ٢
٣٢-أبوداود / بيوع ٤٩ ، وابن حنبل ٣٣٧/٢ ، ٣٧٢
٣٣-البخارى / مظالم ١٠ ، وابن حنبل ٥٠٦/٢
٣٤-الترمذى / زهد ١٧ ، وابن حنبل ٤٣٦/٢ و ٢٣١/٤
٣٥-ابن حنبل ١٤/٤
٣٦-البخارى / رقاق ٤٨ ، ومظالم ١ ، وابن حنبل ١٣/٣ ، ٦٣ ، ٧٤
٣٧-الحشر ٩ والتغابن ١٦
٣٨-البقرة ٢٤٥
٣٩-الجاثية ٢٤
٤٠-ابن حنبل ١٧٨/١، ٤١٩
٤١-البخارى / اعتصام ٢ ، ومسلم / فضائل ١٣٠ ، وابن حنبل ٤٨٢/٢
٤٢-البخارى / أنبياء ٥٤ ومغازى ٥٣ وحدود ١٢ ، ومسلم / حدود ٨ ، والترمذى حدود ٦
٤٣-مسلم / بر ٥٦ ، وابن حنبل ١٦٠/٢ ، ١٩١ و ٣٢٣/٣
٤٤-البخارى /جزية ١ ومغازى ١٢ ، ومسلم / زهد ٦ ، والترمذى / قيامة ٢٨ ، وابن ماجة / فتن ١٨
٤٥-النسائى / مناسك ٢١٧ ، وابن ماجة / مناسك ٦٣ ، وابن حنبل ٢١٥/١ ، ٣٤٧
٤٦-الحشر ٩
٤٧-التغابن ١٦
٤٨-النساء ١٢٨
٤٩-أبوداود / جهاد ٢١ ، وابن حنبل ٣٠٢/٢، ٣٢٠
٥٠-ابن حنبل ٢٥٦/٢، ٤٣٠ ، ٤٤١ ، والنسائى / جهاد ٨
٥١-ابن ماجة / فتن ٢٤
٥٢-أبوداود / ملاحم ١٧ ، والترمذى / تفسير سورة ١٨/٥ ، وابن ماجة / فتن ٢١
٥٣-ابن حنبل ٢٦٥/٥
٥٤-ابن حنبل ٦
٥٥-مسلم / بر ٦٠ ، والترمذى / قيامة ٢ ، وابن حنبل ٣٧٢/٢
٥٦-مسلم / بر ٥٧ ، وابن حنبل ١٣١/٢ و ٣٢٣/٣
٥٧-مسلم / زكاة ١٥٦ ، وأبوداود / سنة ٢٨ ، وابن حنبل ٨٧/١ ، ٩١
٥٨-ابن حنبل ٨٧/١
٥٩-أبوداود / نكاح ٢٩

٦٠-البخارى / طلاق ٣٣ ، ٥٣ ، ومسلم / لعان ٥ ، وأبوداود / نكاح ٣٧ وطلاق ٢٧ ، والترمذى / نكاح ١٥ ، والنسائى / طلاق ٤٤ ، والدارمى / نكاح ١١، وابن حنبل ١١/٢ و ٣٣٣/٤ و ١٢٢/٦

٦١-مسلم / حج ١٤٧ ، وأبوداود / مناسك ٥٦ ، وابن ماجة / مناسك ٨٤ ، والدارمى / مناسك ٣٤ ، وابن حنبل ٧٣/٥

٦٢-مسلم / أشربة ١٠٢ ، وأبوداود / أطعمة ١٥ ، وابن حنبل ٣٨٣/٥ ، ٣٩٨

٦٣-ابن حنبل ٢٩١/٢ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١

٦٤-ابن حنبل ٣٤٣/٣

٦٥-البخارى / بيوع ٩٣ ، ومسلم / مساقاة ١٥-١٧، وأبوداود / بيوع ٥٦ ، ابن ماجة / تجارات ٦١

٦٦-أبوداود / وصايا ١٠

٦٧-الترمذى / حدود ٢٩ ، وابن ماجة / حدود ١٣ ، وابن حنبل ٣٠٠/١

٦٨-البخارى / جزية ١ واكراه ٧ ، وأبوداود / امارة ٣١ ، وابن حنبل ١٩١/١

٦٩-البخارى / تقصير الصلاة ٤ وصيد ٢٦ والصلاة فى مسجد مكة ٦ ، ومسلم / حج ٤١٣-٤٢٤ ،والترمذى / رضاع ١٥ ، وابن ماجة / مناسك ٧ ، والموطأ / استئذان ٣٧ ، وابن حنبل ٢٢٢/١ و٣ /١٢ ، ١٤٣ و ٣٤/٣ ، ٤٥ ، ٧٧

٧٠-البخارى / نكاح ١١١ وجهاد ١٤٠ ، وابن حنبل ٣٣٩/٣ ، ٤٤٦

٧١-أبوداود / عتاق ٧ ، والترمذى / أحكام ٢٨ ، وابن ماجة / عتق ٥

٧٢-البخارى / ايمان ٣٩ ، ومسلم مساقاة ١٠٧ ، والترمذى / بيوع ١ ، وابن ماجة / فتن ١٤ ، والدارمى / بيوع ١ ، وابن حنبل ٢٦٧/٤ ، ٢٧١

٧٣-ابن حنبل ٢٠٢/١ و ٢٩١/٥

٧٤-الترمذى / زهد ٢ ، وابن حنبل ٣١٠/٢

٧٥-ابن حنبل ٣٢٩/٥

٧٦-الترمذى / ثواب القرآن ٢٠

٧٧-البخارى / رقاق ٢٠ ، ومسلم / فضائل /٧٩ ، وابن ماجة / زهد ٢٩ ، والدارمى / جهاد ١١ ، وابن حنبل ١٨٣/٤ و ٣٢/٦ ، ٢٦٢ ، ٢٨١

٧٨-النسائى / أشربة ٤٤

٧٩-مسلم / بر ٥٧ ، وابن حنبل ٤٣١/٢ و ٣٢٣/٣

هوامش الحديث التاسع

١-هود ١٥

٢-الكهف ٢٨

٣-يونس ٢٤

٤-الكهف ٤٥

٥-مسلم / زكاة ٣٤
٦-الترمذى / قيامة ٢١
٧-أبوداود / ملاحم ، والترمذى / تفسير سورة ١٨/٥ ، وابن ماجة / فتن ٢١
٨-البخارى / بدء الوحى ١ وايمان ٤١ ، ونكاح ٥ ، ومسلم / امارة ١٥٥ ، وأبوداود / طلاق ١١ ، والنسائى / طهارة ٥٩ وطلاق ٢٤ ، ٢٦ ، وابن ماجة / زهد ٢٦
٩-آل عمران ١٨٥ ، والحديد ٢٠
١٠-الرعد ٢٦
١١-العنكبوت ٦٤
١٢-غافر ٣٩
١٣- محمد ٣٦
١٤-الحديد ٢٠
١٥-مسلم / زهد ١ ، والترمذى / زهد ١٦ ، وابن ماجة / زهد ٣ ، وابن حنبل ١٩٧/٢ ، ٣٨٩
١٦-ابن حنبل ٧١/٦
١٧-مسلم / رضاع ٦٠ ، وابن ماجة ٥ ، وابن حنبل ١٨٦/٢
١٨-الترمذى / قيامة ٣٠ ، وابن ماجة / زهد ٢
١٩-مسلم / زهد ٢ ، والترمذى / زهد ١٣ ، وابن ماجة / زهد ٣
٢٠-الترمذى / زهد ١٣ ، وابن ماجة / زهد ٣
٢١-ابن حنبل ٣/٦
٢٢-ابن ماجة / فتن ١١
٢٣-ابن ماجة / تجارات ٢
٢٤-ابن ماجة مقدمة ٢٣ ، وزهد ٢
٢٥-ابن حنبل ٣٩٤/٦
٢٦-مسلم / فضائل ١٤١ ، وابن ماجة / رهون ١٥ ، وابن حنبل ١٦/٥ ، ٢٩٨ ، و ١٢٨/٦
٢٧-ابن حنبل ١٥٩/٥
٢٨-البخارى مساقاة ٥ ، وأحكام ٤٨ ، ومسلم / ايمان ١٧٣ ، وابن ماجة / تجارات ٣٠ وجهاد ٤٢ ، وابن حنبل ٢٥٣/٢ ، ٤٨٠
٢٩-ابن حنبل ٤١٢/٤
٣٠-الترمذى / فتن ٩ ، وابن ماجة / فتن ٢٥
٣١-البخارى / وصايا ٩ وجهاد ٣٧ وخمس ١٩
٣٢-مسلم / مسافرين ٢٤٣ ، والترمذى / أدب ٧٩ ، والدارمى / فضائل القرآن ٨
٣٣-ابن ماجة / مقدمة ١٠
٣٤-ابن حنبل ٣٤٢/٥
٣٥-البخارى / تعبير ٤٧ ، ومسلم / رؤيا ١٧ ، وأبوداود سنة / ٨ ، والترمذى / رؤيا ١٠، وابن ماجة / رؤيا ١٠ ، والدارمى / رؤيا ١٣ ، وابن حنبل ٢٣٦/١
٣٦-ابن حنبل ٢٦٤/٥

٣٧-البقرة ٣٠
٣٨-الأنعام ١٦٥
٣٩-فاطر ٣٩
٤٠-النمل ٦٢
٤١-الصافات ٨٨
٤٢-الأعراف ١٨٥
٤٣-يونس ١٤
٤٤-الروم ٩
٤٥-الكهف ١٩
٤٦-النمل ٢٧
٤٧-النمل ٤١
٤٨-النمل ٣٣
٤٩-الصافات ١٠٢
٥٠-الطارق ٥
٥١-الحشر ١٨
٥٢-النبأ ٤٠
٥٣-البقرة ١٠٤
٥٤-النساء ٤٦
٥٥-الأعراف ١٢٩
٥٦-من كنوز السنة ص ٧٩
٥٧-الفرقان ٣٦
٥٨-انظر د٠جميل أحمد ظفر / النحو القرآني - قواعد وشواهد / مطابع الصفا بمكة المكرمة / ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م / ص٥٣٧

هوامش الحديث العاشر

١-البقرة ١٧٧
٢-الانسان ٨
٣-آل عمران ١٤
٤-الكهف ٤٦
٥-العاديات ٨
٦-فصلت ٣٠

٧-ابن حنبل ٤٤٠/٣

٨-مسلم / توبة ٥٣ ، والترمذى / تفسير سورة ١٧/٩

٩-أبوداود / طهارة ٢٧ ، وابن حنبل ٢٣٣/١

١٠-ابن ماجة / زهد ٣١ ، وابن حنبل ٣٦٤/٢ و ١٤٠/٦

١١-البخارى / تفسير سورة ٢٤ /١١ ، ومسلم / توبة ٥٦ ، وأبوداود / أدب ١٤٥ ، وابن حنبل ٦٠/٦ ، ١٠٣ ، ١٩٧

١٢-البخارى / مواقيت /٢٢ ، ومسلم / مساجد ٢٤ ، والترمذى / تفسير سورة ٢٢ /٢ ، وابن حنبل ٤٣٥/٤

١٣-ابن حنبل ٤٠٢/٤ ، ٤١١

١٤-البخارى / بدء الخلق ١ ، والترمذى / مناقب ٧٣ ، وابن حنبل ٤٢٦/٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦

١٥-البخارى / جزية ١ ، ومغازى ١٢ ، ومسلم / زهد ٦ ، والترمذى / قيامة ٢٨ ، وابن ماجة / فتن ١٨ ، وابن حنبل ١٣٧/٤ ، ٣٢٧

١٦-البخارى / ايمان ٢٩ ورقاق ١٨ ، ومسلم / منافقين ٧٧ ، ٧٨ ، وأبوداود / صلاة ٢٢٣ ، والنسائى / ايمان ٢٨ ، وابن حنبل ٤٤٦/٢ ، ٤٦٧ ، ٤٨٢ و ٣٣٦/٣ ، ٣٩٤ و ٢١٢/٤

١٧-الترمذى / مناقب ٢٨ ، وابن حنبل ٤ /١٦٥

١٨-البقرة ٢٢٤

١٩-مسلم / توبة ١-٨

٢٠-أبوداود / أيمان ٦ ، والموطأ / نذور ٩٢

٢١-رياض الصالحين ص٦٠

٢٢-الأنعام ٢٣-٢٤

٢٣-البخارى / توحيد ١٣ ، والترمذى / نذور ٨ ، والموطأ / نذور ١٤

٢٤-البروج ٢-٣

٢٥-القيامة ١

٢٦-الفجر ٣

٢٧-البلد ١

٢٨-التين ٣

٢٩-ص ١

٣٠-ق ١

٣١-الشمس ٧

٣٢-القيامة ٢

٣٣-القلم ٢

٣٤-فجر ٣

٣٥-العاديات ١
٣٦-الصافات ١
٣٧-الحجر ٧٢
٣٨-ص ١
٣٩-ق ١
٤٠-الزخرف ١
٤١-يس١
٤٢-الواقعة ٧٥-٧٧
٤٣-الفجر ١-٤
٤٤-الصافات ١-٢
٤٥-النازعات ١-٢
٤٦-المدثر ٣٢-٣٤
٤٧-الفجر ١-٤
٤٨-الليل ١-٣